منطقة الجوف
في آثار عصور ما قبل الإسلام

أ.د. / عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري

الجزيرة العربية بكاملها ما هي الا متحف للتاريخ بآثارها وتراثها وحضارتها . ولكن عجلة التطور وعجلة التنمية تجعل عالم الآثار في حزن دائم ذلك أنه يحتار بين أن يشارك في هذه التنمية وبين أن يقبض بعجلة التاريخ لكي ينقطع فيستمتع هو ويترك الآخرين يعيشون بطريقتهم الخاصة . تلك معضلة كبيرة يعيشها كل عالم آثار .

ولكن دائماً أقول للناس هل حقيقة وأن البقاء للأفضل ، وأن الانسان الحاضر أولى بالحياة ؟ وكيف يكون لنا هذا التطور وهذه التنمية دون بصيرة من أمر الماضي ؟ في هذه الامسية سمعت كلمة قالها الدكتور زياد السديري وهي (أن الانسان لابد أن يرتبط بجذوره ولابد أن يرتبط بتاريخه) فوقعت مني موقعاً خاصاً .

إننا ندعو بكل حرص على أن نربط الانسان في الجزيرة العربية بجذوره وتاريخه ، لأن عصر نهضتنا دخل علينا بكل خلفياته الحضارية ففقدنا كثيراً جداً، في مأكلنا وملبسنا وحياتنا وكل ما كنا قد ورثناه من ماضينا ، فكيف يمكن أن نعيد للانسان توازنه بين هذا وذاك ؟ والتوازن عملية صعبة في مجتمع معقد له بريق شديد وقوي . والاقتصاديون قد لا يعرفون كثيراً مما ندعوا اليه ، ولكنا مع

ذلك نصر ونضغط علّنا نستطيع أن نترك للأجيال القادمة شيئاً يفخرون به ويعتصمون به .

وما من شك في أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الاسلامي الخالد عصمة لكل مسلم ولكل عربي ، ولكن هذه العصمة يجب أن تكون مرتبطة بالتاريخ ايضاً ليكون هناك توازن بين الروح والعقيدة وبين الوطن وكل شيء له صله بالأرض وما يفخر به الانسان في ماضيه وما يفخر به في مستقبله .

الجزيرة العربية كما قلت مليئة بالآثار ومليئة بالتاريخ ، في كل مكان تذهب إليه تجد التاريخ يقول له : أنت كنت هنا ، وكان لك ابداع وكانت لك حضارة ، وبالتالي يجب أن تحاول أن تصطبغ بالصبغة التي يمكن أن تجعل لك لونا وطعماً ونكهة خاصة تختلف عن بقية الأمم في داخل الجزيرة العربية وفي خارج الجزيرة العربية وفي العالم كله لانك ابن الجزيرة العربية .

الجزيرة العربية لها تاريخ طويل عريق منذ آلاف السنين منذ عصور ما قبل التاريخ ، ولعل دومة الجندل ولعل الجوف أكبر شاهد على العمق الحضاري في الجزيرة العربية . إن منطقة الشويحطية شمال سكاكا تعود إلى أكثر من مليون سنة ، كان الانسان يعيش في هذه المنطقة قبل أكثر من مليون سنة ، وتلك آثاره واضحة ، ولعلها من أقدم الآثار في هذه المنطقة العربية . وللأسف فإن هذه المناطق جرى عليها الزمن ولكن ادارة الآثار وكذلك الآثاريون استطاعوا أن ينقذوا ما أمكن إنقاذه ومعرفته من فترات تاريخية كادت أن تذهب ، ولا ريب أن كثيراً منها قد ذهب . منطقة الجوف الأثرية هي (ثيرمومتر) الحضارة في الجزيرة العربية ، أو هي ساق الشجرة التي غرست في الجزيرة العربية ، ويمكن من خلال هذا الساق أن نعرف ـ من خلال الدوائر التي في الشجرة ـ الفترات التاريخية التي في الجزيرة العربية ، والجيولوجيون يعرفون ذلك ويستطيعون من خلال هذه الدوائر في ساق الشجرة تحديد عمرها .

عمر الحياة الانسانية في الجزيرة العربية أكثر من مليون سنة على الأرض ومنطقة الجوف أكبر شاهد على ذلك . ثم بعد ذلك نجد مراحل مختلفة .. أبرز فترة تاريخية يمكن أن يشهدها الانسان ويستمتع بها هي منطقة تسمى الرجاجيل وهي عبارة عن مكان فسيح وفيه أنصاب، هذه الأنصاب تتكون من مجموعات كل مجموعة يتراوح عددها ما بين نصبين إلى خمسة أو ستة أنصاب ، وتمثل قاعدة كل مجموعة من الأنصاب حذوة حصان في فلاة من الأرض . هذه النماذج من الآثار لا يمكن أن يوجد مثلها وبتاريخها في الجزيرة العربية الا في هذه المنطقة التي تسمى الرجاجيل ويعود تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد، وهذا التاريخ المتواضع وضع لها قياساً على ماهو موجود ببريطانياً مما يسمى « ستون هنجز » الموجودة بالقرب من لندن ويعود تاريخها الى الألف الثالث قبل الميلاد فقياسا على أن الحضارة بدأت في الشرق وأنها تشبه تلك الموجودة في بريطانيا أعطيت هذا التاريخ ، وهو تاريخ في رأيي أقل مما يجب أن تؤرخ به .

ولكن علماء ما قبل التاريخ لم يستطيعوا بعد أن يجرو التنقيبات اللازمة التي تحدد الفترة التاريخية الحقيقية للمنطقة بما تطمئن إليه النفس . ثم بعد ذلك تجد الكثير من مظاهر الحياة ، سنشاهد كثيراً من الآثار الغنية التي تركها انسان الجزيرة العربية وتركها انسان الجوف في هذه المنطقة . وهذه الآثار لا يزيد عمقها التاريخي عن الألف الثالث قبل الميلاد . أي أن الانسان في هذه الجزيرة كان يعيش بكل أفراحه وأتراحه أينما تكون الماء وتكون الخضرة وتكون الحياة .

وبالمناسبة فإن هذه المنطقة من أكثر المناطق خصباً في الجزيرة العربية خاصة أنها الطرف شبه النهائي لوادي السرحان وتقع في الجرف الذي يلتقط المياه والذي ترى فيه اخضرارا واضحاً أينما ذهبت في هذه المنطقة .

دخلت هذه المنطقة بعد حوالي الألف الثالث

قبل الميلاد في مرحلة تاريخية ، ونقصد بالمرحلة التاريخية تلك الفترة التي بدأ فيها الانسان يكتب، عندما بدأ الانسان يكتب .. بدأ التاريخ . بدون كتابة لا تاريخ حتى في مجاهل افريقيا ، حتى في مجاهل أمريكا الجنوبية ، قبل أن يبدأ الانسان في الكتابة حتى لو قبل ٦٠٠ سنة هو لا زال في مرحلة ما قبل التاريخ . التاريخ هو الكتابة .

عندما بدأ الانسان يكتب في وادي الرافدين وفي وادي النيل بدأت حركة التاريخ فيهما . ولكن نحن لا نعرف حتى الآن متى بدأ الانسان يكتب في الجزيرة العربية ، متى بدأ الانسان يؤرخ في الجزيرة العربية . تلك الفترة من الفترات العويصة أو نقطة من النقاط الصعبة التي لم يستطع العلماء أن يحددوها حتى وقت متأخر بالنسبة للجزيرة العربية . نعرف متى بدأ يؤرخ في بلاد الشام ووادي النيل ولكن بالنسبة للجزيرة العربية لا نعرف متى كان ذلك . ولكن من خلال الكتابات الموجودة في جنوب الجزيرة العربية استطعنا أن نضع تاريخاً مبدئياً ، ورغم شكنا فيه إلا أنه من المحتمل أن يكون الانسان في الجزيرة العربية بدأ يكتب منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وربما بعد ذلك . لكن المشكلة التي تواجهنا هي أن الكتابة في جنوبي الجزيرة العربية بدأت متكاملة ، والانسان عندما يبدأ يكتب لابد أن يمر بمراحل في محاولاته حتى يستطيع أن يصل إلى هذه النماذج الجميلة من الحروف والأشكال الهندسية ، المربعة - المستطيلة - المعينات وغيرها .

ماهي المراحل التي مر بها الانسان العربي حتى وصل إلى هذا التكوين الكامل والأبجدية المتكاملة في الجزيرة العربية . من المعتقد أن شمال الجزيرة العربية كان هو الموطن . لماذا ؟ لأنا وجدنا حضارة جنوب الجزيرة العربية حضارة متكاملة ، اذن أين كانت البدايات التي بدأ انسان الجزيرة العربية يسجل فيها تاريخه ويقوم بأدواره الحضارية ؟ .

في اعتقادي ان هذه المنطقة هي التي تقع شمال « رملة عالج » حتى تيماء

والعلا والحجر حتى خليج العقبه ، وفي وادي رم في الأردن تلك كانت هي المنطقة أو المناطق التي شهدت بدايات الحضارات الأولى . في مطلع النصف الأول من الألف الأول ق . م كانت هناك ملكات في شمال الجزيرة العربية وتعرفنا على خمس أو ست منهن كن يحكمن في شمال الجزيرة العربية لم نجد ملكة واحدة في جنوب الجزيرة العربية . هؤلاء الملكات كن يحكمن في فترة تسبق نشأة الممالك في جنوب الجزيرة العربية . نشأت الممالك المعروفة في جنوب الجزيرة العربية حسب آخر تحديد زمني في القرن الثامن قبل الميلاد على خلاف بين المؤرخين وربما بعد ذلك . في حين نجد أن الملكات في شمال الجزيرة يعود تاريخهن الى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد . كنا نجد ملوك آشور وبابل يأتون الى شمال الجزيرة العربية في حملات متلاحقة لغزو هذه المنطقة ويهدمونها ويأسرون ملكاتها ويأخذونهن بأقفاص من ذهب ويطوفون بهن في شوارع نينوى في العراق ثم بعد فترة من زمن يعدن إلى أماكنهن ثم يأتون في حملة أخرى .

وقد سجلت الألواح الآشورية حوالي ست أو سبع غزوات متوالية من ملوك آشور وبابل الى الجزيرة العربية .

لماذا الجزيرة العربية ؟ لماذا شمال الجزيرة العربية ومن وادى الرافدين ؟ .. التجارة .. الرزق .

شمال الجزيرة العربية وشمال غرب الجزيرة العربية كان هو عنق الزجاجة للاقتصاد التبادلي بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها فكان من قبض على دومة الجندل قبض على كل القرى الموجودة بعدها . لذا كانوا يقولون إذا سقطت دومة الجندل سقطت كل القرى الموجودة حتى يثرب وهذا ما حصل فعلاً . لذلك نجد أن الآثار الموجودة في دومة الجندل هي من أقوى الآثار ، ولذلك سميت الجندل (دومة الجندل) و الجندل هو الصخر أي بنيت من الصخر لتكون هي الخط الاول للدفاع عن التجارة في الجزيرة العربية .

عندما جاء (نبونيد) في القرن السادس قبل الميلاد دخل دومة الجندل ثم اتجه الى تيماء وقتل عشرين ألفا من

رجالها وبنى قصره وعاش عشر سنوات ووصل الى يثرب كما يزعم - وكانت يثرب ضمن المستعمرة البابلية في ذلك الوقت - واستمر عشر سنوات ثم لظروف سياسية في العراق عاد اليها . عندما قبض على دومة قبض على يثرب لأن الاقتصاد اليثربي هو شريان حياة الجزيرة العربية. ولذا نجد أن هناك صراع بين وادي الرافدين ووادي النيل للقبض على طريق التجارة في الجزيرة العربية .

فإذا ما توقفت حملات وادي الرافدين جاءت حملات مصر، ولكن حملات مصر التى سجلت وعرفت حتى الآن جاءت متأخرة في الفترة البطلمية خلال القرن الثالث قبل الميلاد وما بعده .

إذ كان هناك صراع بين الأدوميين وبين الأنباط من جهة وبين حكام وادي النيل في ذلك الوقت من جهة أخرى .

لعلكم تتصورون معي أن مدينة هذا هو حجمها السياسي والاقتصادي في شمال الجزيرة العربية ، لابد أنها كانت من الثراء ومن القوة ما يمكنها ان تصمد أمام هجمات الآشوريين والبابليين . ولذلك ففي اعتقادي أن منطقة الجوف بكاملها (دومتها والمدن الأخرى فيها) كانت تعج بالحركة الاقتصادية والتجارية والثقافية أيضا . ولذلك فما وجدناه من كمية من الكتابات المسجلة من الفترة التاريخية سواء كانت كتابات بالقلم المسند أو كتابات نبطية أو كتابات القوافل ، تعطينا معلومات عن الحياة الاجتماعية والثقافية التي كانت موجودة في هذه المنطقة . ان الشيء الذي حاولت بسطه أمامكم الليلة ما هو إلا معلومات حاولت أن ألخصها عن فترة ما قبل الميلاد . أما عن فترة قبيل الاسلام أو فترة ما بعد الميلاد فقد كانت دومة الجندل أيضاً منطقة استراتيجية في الصراع الدولى بمسمى ذلك العصر . ولذلك نجد أن سوق دومة الجندل هي من الأسواق المهمة فعندما تكون القوة في ميزان المناذرة كانت كنده هي التي تسيطر على السوق ويمثلها .. السكونيون ، وإذا كان العكس كانت قبيلة أخرى مثل كلب هي التي

تسيطر على السوق . ولذلك كان السوق الذي يستمر حوالى شهر في دومة الجندل محل قوة وسطوة ، من يبدأ أولا ؟ من يأخذ الرسوم ؟ من يبيع ويشتري قبل الآخر ؟ كل هذه الأشياء تأتي حسب القوة السياسية الموجودة في ذلك العصر . ففي تصوري أن القبائل العربية كما كانت تتنافس في سوق عكاظ لابد أنها كانت أيضا تتنافس في سوق دومة الجندل .

ودومة الجندل بحكم أنها على الحدود كانت تجرى فيها بعض الأشياء التي لم تكن مستحبة كثيراً عند العرب ولكنها سجلت . وهي مظهر من مظاهر الانفتاح في ذلك العصر . ومن الأشياء التي ذكرت في دومة الجندل أيضاً أنها نقلت الكتابة وتطورت فيها دون بقية بلاد العرب ثم علمت أهل مكة كيف يكتبون . وهذه مما تذكر ضمن مفاخر دومة الجندل أي أنه عن طريقها تعلم المكيون الكتابه . وعلى الرغم من علامات الاستفهام التي توضع وبشدة على هذه المقولة الا أننا يمكن أن نقول لابد أن يكون سكان دومة الجندل أو سكان الجوف كانوا يكتبون ويقرأون ، وهذا ما تدل عليه الكتابات المسجلة على سفوح الجبال وعلى الصخور وكأن ليس همهم الا أن يكتبوا وليس هم الأخرين الا أن يقرأوا .

إن مقولة أن أهل دومة الجندل كانوا يقرأون ويكتبون شيء نسلم به ، وأما أنهم علموا أهل مكة ذلك فهذا ما نتوقف عنده . من هو ذلك الشخص الذي علم أهل مكة ؟ هو بشر بن عبدالملك شقيق الأكيدر الذي ذهب إلى الحيرة في العراق وتعلم الخط العربي من أهلها ، ثم أتى إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبدشمس القرشي . رآه سفيان بن أمية بن عبدشمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . فسألاه أن يعلمهما الخط .

هنا نقف . سفيان بن أمية وأبو قيس بن عبد مناف يسألان بشر بن عبدالملك أن يعلمهما الخط ، يجب أن نتساءل أولاً هل هناك معاصرة بين الاثنين ؟ هذا ما يجب أن نتحقق منه .

الشيء الآخر سفيان بن أمية سيد

من سـادات قـريش يطلب من عـربي يـأتي من شمال الجزيرة العربية أن يعلمه الخط كيف يكون هذا وخاصة أن مكة قد وصلت إلى أوجـهـا الاقـتـصـادي وأوجـهـا المالي وأوجـهـا الفكري إذ لابد أن تكون في ذلك العصر قد استخدمت الكتابة . ولذلك كان النبي الأمي ومعجزته الانتساب للأمية في مجتمع يقرأ ، هو مجتمع قريش .

فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ثم أراهما الخط فكتبا . وفي ذلك قال شاعر من دومة الجندل موجها كلامه إلى أهل مكة مـعرباً عن فـضل أهل دومـة الجندل عليهم من جهة تعليمهم الكتابة :

فلا تجحـدوا نعماء بشر عليكمـو
فقد كـان ميمون النقية أزهـــرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو
من المال ما قد كان شيئاً مبعثـرا
وأتقنتموا ما كان م المال مهملا
وأطمنتم ما كان منه منفـــراً
فاجمعتم الأقلام عـودا وبـدأة
وضاهيتم كتـاب كسرى وقيصـرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميراً
وما زبرت في الصحف أقيال حميـرا

البيت الأخير هذا مـهم جـداً رغم ما فيه من افتئات ، معنى ذلك أن مكة إلى فترة قصي كانت تكتب الخط الحميري أما مـا بعـد قـصي فـقـد بدأت تكتب بخط الشـمـال . من أين جـاءها خط الشـمـال ؟ هذه قصة أخرى :

مما يبـــدو لي أن الأنبـــاط الذين سـقطوا تحت سـيطرة الرومـان سنة ١٠٦ مـيلادية نزحـوا للجنوب فـوجـدوا في مكة والكعبة موئلا لهم من سطوة الرومان الذين ضـمـوا كل منطقـة القـرى العـربيـة حـتى يثـرب إلى مـا أسـمـوه : المقـاطعـة العربية وتمت سيطرة الدولة الرومانية .

أي أن الأنبـــاط هربوا إلى داخل الجزيرة العربية ، ولاذوا بمكة والبيت ومكة لا تستطيع أن تصل إليـها أيدي الرومان لبـعـدها ولما حـبـاها الله به من أمن واطمئنان لمن يلوذ بالبيت . فوجد الأنباط في مكة حـــمى لهم . ومن هنا انتـــقلت الكتـابة (وكـان الأنبـاط شـعـبـاً مـثـقـفـاً ومـتـعلمـاً) إلى مكة وانتـقلت الكتـابة إلى الطائف والـى غيـرها من المناطـق وقبـل

ذلك كما يقول هذا الشاعر كانت مكة تكتب بالخط الحميري (الخط المسند) لا أريد أن أطيل كثيراً لكن هناك بعض الأشياء التي يمكن أن أقولها، وان كنت أود ترك فرصة للنقاش .

في دومة الجندل (قصر مارد) من القلاع الحصينة في الجزيرة العربية ، وأقدم ما وجد فيه من آثار يعود الى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد وأحدث ما فيه يعود إلى بداية المملكة العربية السعودية ، أي أنها شريحة من شرائح التاريخ المتسلسل منذ ذلك العصر حتى الآن .

لو أتيتم قبل خمسة عشر عاما لوجدتم دومة الجندل غير ما هي عليه اليوم . كانت مدينة متكاملة بها سوق من أجمل الأسواق زال كثير منها ، وقد حفرت فيها ادارة الآثار وأظهرت فيها نمطا من الأنماط المعمارية النبطية التي نفتقر لها في الجزيرة العربية .

في دومة الجندل مسجد ، يقول الناس عنه هنا أنه لعمر بن الخطاب، ولكنني أضع أكثر من علامة استفهام حول هذه التسمية وحول هذه النسبة . هل جاء الى هنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ عمر بن الخطاب لم تذكر له رحله الا عندما ذهب الي بيت المقدس وعاد عندما ذهب الى بيت المقدس ذكر المؤرخون الطريق الذي اتبعه ، أما كيف عاد فهذا ما لم تذكره .

عودة عمر بن الخطاب من بلاد الشام الى المدينة لم تذكر في كتب المؤرخين . النمط المعماري الموجود لا يختلف عن النمط المعماري الموجود في المدينة بكاملها . المئذنة لم يعرف في المدينة المنورة ولا في مكة المكرمة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا بعده هذا النمط من المآذن لم يعرف الا في

دمشق .. الا في بلاد الشام عندما بدأ الأمويون يضاهون معابد النصارى في بلاد الشام فبنوا المآذن . اذن هذه المئذنة هل هى مئذنة ؟ وهذا المسجد هل هو لعمر بن الخطاب أم عمر آخر ؟

كنا نقول أن مدائن صالح هي مدائن نبي الله صالح ، حتى جاء الشيخ حمد الجاسر وأثبت ان المسمى (صالح) ليس هو نبي الله صالح وانما هو وال من ولاة العباسيين كان في وادي القرى فسميت هذه المدائن باسمه ومن المعروف أن الاسم التاريخي لها هو الحجر .

وأنا أميل أن يكون هذا (العمر) هو عمر غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أو والٍ من الولاة الذين جاءوا الى هذه المنطقة خلال العصر العباسي أو اسم قبيلة كانت تسكن دومة وبني هذا المسجد ونسب اليها فسمي مسجد عمر . الناس يقولون مسجد عمر وليس عمر بن الخطاب ولاندري . ولعله نسبة الى بني عمرو الذين كانوا يسكنون الدومة حتى عصر قريب ، وهذا هو الأقرب للقبول .

ولذلك لابد أن تعمل معاول الآثاريين في معرفة الطبقات التاريخية لهذه المئذنة أو لهذه الصومعة والمسجد بالحفر في داخله والحفر حوله حتى نعرف متى بنيت تماماً . وهذه المئذنة غير الملتصقة بالمسجد أيضا يجب أن يحدد تاريخها بشكل جيد .

الآثار الإسلامية في منطقة الجوف

بقلم : د/ خليل بن ابراهيم المعيقل

مقدمة تاريخية :

تعد منطقة الجوف من المناطق الأثرية المهمة في شمال الجزيرة العربية ، ويعود تاريخ المنطقة لعصور سحيقة في القدم، بل ان هذه المنطقة تحتضن أقدم موقع استوطنه الانسان في الجزيرة العربية وذلك موقع الشويحطية الذي يعود تاريخه لأكثر من مليون سنة . يضاف الى ذلك عشرات المواقع الأثرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ المختلفة . اما خلال العصور التاريخية التي أكدت مراحل الاستيطان المختلفة التي شهدتها المنطقة خاصة خلال الألف الأول قبل الميلاد وحتى بداية البعثة النبوية . هذه المواقع الأثرية وما تحوية من شواهد بارزة فوق سطح الأرض أو أخرى مندثرة ومطمورة تعكس مرحلة تعد من أهم مراحل ازدهار الحضارة والرقي والتي تزامنت مع تطور واتساع النشاط الاقتصادي وحركة القوافل البرية التي كانت منطقة الجوف احدى أهم المحطات الرئيسة على مسار تلك القوافل . معظم الشواهد الأثرية تعود لهذه المرحلة حيث ازدهرت المدن الرئيسة في المنطقة واتسع عمرانها وازدادت أهميتها السياسية والاقتصادية مما انعكس ذلك على عملية حماية وتأمين هذه المدن عن طريق بناء القلاع والأسوار والتي لازالت بقاياها قائمة في كل من دومة الجندل وسكاكا .

مع بداية التاريخ الاسلامي كانت منطقة الجوف من أهم الواحات الواقعة

في شمال الجزيرة العربية وكانت مركزاً رئيساً للقبائل العربية . أهمية هذه الواحه تنبع أولاً من موقعها الاستراتيجي في نقطة وسط بين المراكز الحضارية المختلفة ، جنوب وادي الرافدين وبلاد الشام من جانب ومنطقة وسط الحجاز من جانب آخر . ثانياً كونها أحد أهم المراكز التجارية في شمال الجزيرة العربية . يضاف إلى العاملين السابقين عامل آخر يتمثل بتلك الخصائص والمقومات التي تمتاز بها المنطقة من وفرة المياه الجارية والأراضي الصالحة للزراعة وقيام حرف وصناعات محلية تلبي حاجات هذا المجتمع المتنامي، لذلك استطاع الانسان في هذه المنطقة استغلال حركة قوافل التجارة التي تتوقف في المنطقة وقام بتزويد هذه القوافل بما تحتاجه من مياه ومؤن وتبادل مع أفراد هذه القوافل منتجاته بأخرى يحتاج إليها ، ومع مرور الوقت تطور دور دومة الجندل لتصبح واحدة من أهم أسواق العرب في الجاهلية .

خلال بداية الدعوة الأسلامية كانت منطقة الجوف خاضعة فعلياً لسلطة دولة الغساسنة التي كانت بدورها تحت هيمنة الامبراطورية البيزنطية . وهذا ربما يكون الدافع الذي جعل بعض الجغرافيين المسلمين يعدون دومة الجندل شامية حيث نجد الواقدي يشير إلى غزوة الرسول صلى الله عليه وسلم لدومة الجندل على أنها أول محاولة للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين للتحرش بالروم .

اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بمنطقة الجوف جاء مبكراً حيث قاد بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة كانت موجهة ضد دومة الجندل وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة وعاد من دومة الجندل إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الآخر من نفس السنة .

غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعد أطول غزواته صلى الله عليه وسلم من حيث بعد المسافة وكان من

أهداف هذه الغزوة كما أشار إليها الواقدى رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقترب من حدود الشام لأن دومة الجندل تعد تابعة لبلاد الشام ، هذا ربما يفزع الامبراطور البيزنطي . كذلك ذكر سبباً آخر لهذه الغزوة يتمثل في وجود جمع كبير من الناس في دومة الجندل وكان هؤلاء يعتدون على التجار المتجهين نحو المدينة . سار رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو دومة الجندل وكان معه دليل من بني عذرة يسمى مذكور . ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من دومة الجندل وأصبح على مسافة مسيرة يوم أو ليلة ذهب دليله مذكور يستطلع المنطقة المحيطة بدومة الجندل وعندما عاد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بموضع انعامهم وابلهم ، سار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه بأتجاه الأنعام والابل فأصاب منها ما أصاب وتفرق عدد من الرعاة هاربين باتجاه دومة الجندل وأبلغوا سكان المدينة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتفرق سكان المدينة هاربين تاركين مدينتهم ، عندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل ونزل بساحتهم لم يجد بها أحداً ومكث بها أياماً وعاد إلى المدينة . أحداث هذه الغزوة التي أوردها الواقدي بالتفصيل تؤكد أن الهدف الرئيس لهذه الغزوة هو التحرش بحدود الدولة البيزنطية ، وقد تحقق هذا الهدف بوصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل وهروب أهلها واستيلائه صلى الله عليه وسلم على بعض أنعامهم وابلهم ، لذا يعتقد أن هذه الغزوة تمثل مقدمة لأحتكاك المسلمين المباشر مع الروم (البيزنطيين) في السنوات التالية في غزوة تبوك .

بعد سنة تماماً من غزوته صلى الله عليه وسلم إلي دومة الجندل أرسل عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه على رأس سرية إلى دومة الجندل كان هدفها دعوة أهل دومة الجندل للاسلام ، بعد وصول ابن عوف إلى دومة الجندل مكث ثلاثة أيام يدعوهم للاسلام وفي اليوم الثالث استجاب أحد شيوخهم الأصبغ

بن عـمـرو الكلبي للأسـلام وقـد كـان نصرانياً وأسلم مـعه نفر من قومه . كتب عـبدالرحـمن بن عوف إلى الرسـول صلى الله عليـه وسلم كـتـاباً يخـبـره بذلك ويستـأذنه الزواج منهم ، رد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً يأمره بالزواج من تماضـر بنت الأصـبغ ، فـفـعل عبدالرحمن وأتى بها المدينة وولدت له أبي سلمة بن عبدالرحـمن بن عـوف ، يتـضح من سياق وأحداث هذه السرية أنها كانت مـوجـهـة إلى دعـوة أهل دومـة الجندل للاسلام ولم يكن لها أهداف سياسية أو عسكرية .

في شـهـر رجب من السنة التـاسـعة للهجرة وخـلال غزوة تبوك بعث رسول الله صلى الله عليـه وسلم خـالد بن الوليـد من تبوك على رأس أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبدالملك ملك دومة الجندل . كـان هدف هـذه السـرية أكـيـدر صـاحب دومـة الجـندل ، وهـذا اتضـح من تعليمات الرسـول صلى الله عليـه وسلم التى وجـه بهـا خـالد بن الوليـد للظفر بأكـيـدر حـيـاً وأحضاره إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم استطاع خـالد أسـر أكـيدر بن عـبـدالملك وقـدم بـه المدينة على رسـول الله صلى الله عليه وسلم الذي صالحه على الجزية وكتب له ولأهل دومـة كـتـاب صلح وأورد نصـه الواقدي . هذه السرية حققت الهدف الذي بعـثـهـا الرسول صلى الله عليه وسلم من أجله وهو خـضـوع دومة الجندل تحت سلطة الدولة الإسلامية .

خـلال خـلافـة أبي بكر الصـديق رضي الله عنه نقض أكيدر ملك دومة الجندل العهد ورفض دفع الجزية التي كان يؤديها لرسول الله صلى عليه وسلم . لذلك بعث أبو بكر الصـديق عـيـاض بن غنم على رأس سرية لفتح دومـة الجندل ، لكن هذه السرية لم تستطع تحقيق هدفها بسـبب الأعـداد الكبيـرة من القبـائل التي وفـدت لنصـرة دومـة الجندل . ونظراً لهـذا الوضع كـتب أبو بكر الصـديق كـتـابـاً لخـالد بن الوليـد الذى كـان بعين التـمـر يأمره بالتوجه صوب دومة الجندل لمساعدة عياض بن غنم . وباتجاه خـالد نحو دومة أحـدث خـللاً في تحـالف القـبـائل العربية التي وفـدت لنصـره أهل دومـة ، لأن أكيدر

عندما علم بمسيرة خالد حاول اقناع القبائل العربية بالتصالح بدلاً من الحرب لخوفه من الهزيمة المحققة على يد خالد بن الوليد ، وهذا ما حدث فعلاً حيث استطاع خالد وعياض من هزيمة الجمع ، ومن فتح حصن دومة الجندل وقتل من فيه من الرجال . وبذلك طويت صفحة من تاريخ المنطقة ودخلت منذ تلك اللحظة تحت سلطة المدينة المنورة والدولة الإسلامية ، وقد أحدث هذا الفتح تغيراً ملحوظاً في أوضاع المنطقة التي دانت بالإسلام وأصبحت جزءاً مهماً من أراضي الدولة الإسلامية . بعد هذا التاريخ سكتت المصادر الإسلامية عن ذكر دومة الجندل حتى سنة ثمان وثلاثين، وهى السنة التى اجتمع فيها الحكمان بدومة الجندل للنظر في قضية خلاف علي ومعاوية رضوان الله عليهم .

وقد اختلفت المصادر في مكان التحكيم ففي حين تذكر معظم المصادر أن دومة الجندل هي المكان الذي اجتمع فيه الحكمان ترى أخرى أن موقع أذرح في جنوب بلاد الشام هو موضع التحكيم . من خلال استعراض الآراء المطروحه خاصة تلك التي تتعلق بموقع دومة الجندل المتوسط الذي يقع على مسافات متساوية من دمشق والكوفة وبالنظر لموقع أذرح القريب جداً من دمشق فانه من غير المتوقع أن يرضى علي بارسال أصحابه إلى منطقة نفوذ معاوية ، وبالتالي فان هذا يجعل دومة الجندل المكان المناسب من حيث موقعها الجغرافي المتوسط وكذلك حيادها السياسي .

بعد أحداث قضية التحكيم صمتت المصادر عن ذكر أية معلومات عن دومة الجندل وهذا الوضع ينطبق على عدد كبير من المستوطنات والمدن الواقعة في الجزيرة العربية وكان هذا محصلة لانتقال مركز السلطة السياسية من داخل الجزيرة العربية إلى خارجها وأصبح الاهتمام منصباً فقط على الحرمين الشريفين وما عدا ذلك لم يهتم الكتاب بتتبع التاريخ المحلي للمدن والمستوطنات الداخلية .

الآثار الاسلامية في المنطقة :

تمثل الآثار التي تعـود للعـصـور الاسلامية المختلفة أبرز آثار المنطقة ، حيث أن مـعظم الآثار البـارزة فـوق السطح تعـود للعصور الاسلامية باستثناء قلعة مارد التي انشئت قبل الاسلام وظلت مستخدمه معظم العصور الاسلامية حتى وقت قريب جداً . كثافة الاثار الاسلامية وتنوعها جعلت المنطقة من أهم المناطق الأثرية الاسلاميـة في المملكة العربية السعودية وأصبح لهذه المواقع الأثرية مكانة مميـزة وبارزة في أوسـاط الدارسين والمهتمين في الآثار الاسلامية .

تتميز الآثار الاسلاميـة بعدة ميزات أهمـهـا تنوع هذه الآثار حيث تحوي المنطقة على عدد من المساجد الأثرية أبرزها مسجد عمر بن الخطاب الذي يعد من أقدم المساجد الأثرية وأهمها في المملكة العربية السعودية . كذلك هناك مدينة دومة الجندل القديمة التي تعتبر من أهم المدن العربية الاسلاميـة في المملكة نظراً لأنهـا حـافظت على أبرز خصائص المدينة العربية القديمة وكذلك نظراً لطبيعة الجزء المتبقي من المدينة والذي لازال قائماً وفي وضـع جيد ويعكـس لنـا نمط تخطيط المدينة القديمة وعلاقة هذا التخطيط بالظروف البيئية والمناخية . أما في مدينة سكاكا فلا زالت أجزاء بسيطة من بقايا المدينة الاسلامية باقية وهذه تتمثل في قلعة زعبل المطلة على المدينة من الجهة الشمالية . يضاف إلى ذلك قصر صغير يقع إلى الغرب مباشرة من قارا وهو قصـر القدير الذي يعود بناؤه إلى سنة ٥١٨ هـ .

أما الآثار الخطية التي تعود للعصر الاسلامي فتتمثل بعدد كبير من النقوش العربية التي يفوق عددها المئة ، هذه النقوش تنتشر في مواقع مختلفة من المنطقة ويؤرخ أقدمها لسنة ١٢١ هـ .

مدينة دومة الجندل الاسلامية :

قبل أن نتطرق للآثار الاسلاميـة في دومة الجندل لابد أن نشير إلى نقطة مهمة جداً يغفلها كثير من الدارسين للمدن الاسلامية في الجزيرة العربية . هذه النقطة تتمثل بمدى تاثر المدن الاسلامية في الجزيرة العربية بالمدن القديمة خاصة في حالة استمرار المدينة في كلا العصرين كما هو وضع دومة الجندل . نشأت المدن العربية القديمة وتطورت عبر قرون عديدة استطاع

الانسان خلالها من التكيف مع الظروف المختلفة المحيطة به ، هذه الظروف انعكست على وضع المدن من الناحية التخطيطية والمعمارية ، حيث استطاع الانسان أن يطور نماذج تخطيطية تتلائم مع ظروف المكان وبالتالي فان تطور المدن مع تلك الظروف ساعد على الوصول إلى نمط لتخطيط المدينة العربية القديمة تغلب فيه الانسان على ظروف المناخ الصعبة ، هذا التخطيط لم يتغير كثيراً خلال العصر الإسلامي بل ان كثيراً من مقومات ذلك التخطيط ظهرت في تخطيط المدينة الاسلامية مع اضافة بعض التعديلات فيما يتعلق بعلاقة المسجد بالتكوينات المعمارية الأخرى ونمط تخطيط المنازل الذي تأثر بتعاليم الدين الاسلامي الذي حدد علاقة الجوار واستقلالية المسكن وحماية أسراره . هذا الوضع ينطبق على تخطيط مدينة دومة الجندل في عصورها المختلفة .

يعتمد تخطيط مدينة دومة الجندل على منطقة مركزية يتوسطها مسجد عمر بن الخطاب وتحف بها قلعة مارد من الجهة الجنوبية ، أما المنطقة السكنية الرئيسة فتقع إلى الشمال والغرب من المسجد و يمثلها حي الدرع ، الذي لازالت أجزاء كبيرة منه قائمة ، أما الجزء الآخر من المنطقة السكنية فيقع إلى الشرق من قلعة مارد في تلك المنطقة التي يتخللها تلول أثرية وأبار مياه ، هذا الجزء من المدينة مندثر ويظهر على السطح بقايا لمساكن تمتد لمسافة بعيدة باتجاه الشرق ويتوسط هذه المنطقة بقايا مسجد أثرى صغير .

الأجزاء الأخرى من مدينة دومة الجندل تقع ضمن حدود سور دومة الجندل الذي يماثل وضع المدينة (يثرب) قبيل الهجرة النبوية ، حيث كان نمط الاستيطان عبارة عن أحياء متفرقة صغيرة الحجم . كان يتبعها مزارع النخيل والتي تنتشر في الوقت الحاضر في الجهات الغربية والشمالية والشرقية .

قلعة مارد في العصر الإسلامي :

أثبتت المصادر التاريخية والأدلة الأثرية أن قلعة مارد التي يعود بناؤها إلى عصر ماقبل الاسلام استمر استخدامها خلال العصور الاسلامية المختلفة ، وقد أشارت المصادر الاسلامية أن خالد بن الوليد خلال مرحلة فتح دومة الجندل قام بكسر باب القلعة بسيفه ، وكان هذا الحدث نهاية للشرك والضلال وبداية لدخول منطقة الجوف إلى

حظيرة الدولة الاسلامية . آثار القلعة المعمارية تشير إلى مراحل بنائية مختلفة مرت على القلعة كان آخرها الترميم التي قام به ابن شعلان في حدود سنة ١٩٢٢م . وإن استخدام القلعة في العصور الأسلامية لم يغير كثيراً من وضع القلعة وتخطيطها وربما خضعت القلعة خلال تلك المراحل إلى الصيانة الدورية وإعادة الترميم وهذا يتضح من الأجزاء السفلية وبعض الجدران العلوية خاصة في الجهة الغربية التي تأكد أنها من بقايا عمارة عصر ما قبل الأسلام .

المساجد الأثرية في دومة الجندل :

تحوي دومة الجندل مسجدين قديمين الأول مسجد عمر بن الخطاب والثاني مسجد أثرى مهدم يقع إلى الشرق من قلعة مارد في وسط المنطقة السكنية المندثرة ، يضاف إلى هذين المسجدين مسجد ثالث متأخر يقع داخل المبنى الملحق بقلعة مارد ويحمل كثيراً من السمات التخطيطية والمعمارية لمسجد عمر بن الخطاب ، إلا أن هذا المسجد متأخر جداً .

مسجد عمر بن الخطاب :

يقع مسجد عمر بن الخطاب في وسط مدينة دومة الجندل القديمة ملاصقاً لحي الدرع من الجهة الجنوبية . ويعد من المساجد الأثرية المهمة إن لم يكن من أهمها على مستوى المملكة ، وتنبع أهمية المسجد من عدة نقاط ، الأولى تخطيط المسجد الذي يمثل استمرارية لنمط تخطيط المساجد الأولى ، حيث إن هذا التخطيط يذكرنا بتخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة في مراحله الأولى وكذلك يشبه تخطيط المساجد الأولى التي بنيت في مدن الأمصار في كل من البصره والكوفه والفسطاط . كذلك تبرز أهمية هذا المسجد من محافظته على نمط تخطيط المساجد الأولى بالاضافة إلى كونه من أقدم المساجد الأثرية التي لم يتبدل تخطيطها بالاضافة إلى أن المسجد لم يتعرض لإعادة بناء أو توسعة كبيرة كما حدث لكثير من المساجد في العالم الاسلامي . تخطيط مسجد عمر يعتمد على مسقط مستطيل الشكل تقريباً أطواله ٣٢٫٥×١٨م . يتكون المسجد من رواق القبلة الذي يحتل حوالي ثلثي مساحة المسجد . حيث تبلغ المساحة المغطاة من المسجد ٣٢٫٥× ١٠٫٢م ويتخلل هذا الرواق ثلاثة صفوف من الدعامات الحجرية موازية لجدار القبلة ، يتكون الصف الأول القريب من جدار القبلة من عشر

دعامات بينما يتكون الصف الثاني والثالث من تسع دعامات .

يتوسط جدار القبلة حنيتان متشابهتان تمثلان المحراب والمنبر . والمحراب الواقع على يسار المنبر أكبر حجماً من المنبر ، اتساع فتحته ٨٠ سم وعمقه ١٫١٥ م ، بينما المنبر اتساعه ٦٥ سم وعمقه ١م ، يعلو المحراب والمنبر عقد مثلث مكوّن من كمرتين حجريتين مستندتين على بعضهما البعض بزاوية ٦٠ درجة ، يتكون المنبر من درجتين وجلسة ويتصل بالمحراب عن طريق فتحة مستطيلة في الجدار الفاصل بينهما .

تنتشر على طول واجهة جدار القبلة تجاويف مربعة استخدمت لحفظ المصاحف والكتب الدينية . الواجهات الداخلية لجدران رواق القبلة غطيت بطبقة من اللياسة الطينية والأجزاء السفلية من هذه اللياسة طليت بطبقة من الجص .

استخدم في تغطيات المسجد سقف مستوٍ يتكون من خشب الأثل الذي يعلوه سعف النخيل المغطى بطبقة طينية خضراء اللون .

تقع مئذنة المسجد في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وتبرز عن مستوى جدار القبلة . قاعدة المئذنة مربعة الشكل طول ضلعها ٣م وجدرانها الحجرية تضيق إلى الداخل كلما ارتفعت إلى الأعلى حتى تنتهي بقمة شبه مخروطية . يبلغ ارتفاع المئذنه الحالي ١٢٫٧م . وقد شيدت المئذنه بكاملها من الحجارة . وتتكون المئذنة من خمسة مستويات ، المستوى الأرضي والذي يمثل قاعدة المئذنة ويتكون من بناء حجري مصمت يخترقه من المنتصف ممر ضيق يؤدي إلى مدخل المنطقة السكنية . يعلو هذا المستوى أربعة مستويات أخرى يتخللها سلم حجري داخلي يتكون من الواح حجرية محمولة على طنف حجرية تبرز عن مستوى المئذنه الداخلي. يتوقف السلم الحجري عند المستوى الثاني اما المستويان العلويان فالوصول إليهما عن طريق سلسلة من الأحجار التي تبرز عن مستوى الجدار الداخلي . يمكن تحديد المستويات عن طريق فتحات النوافذ التي تتخلل جسم المئذنه في الاتجاهات الأربع .

تاريخ بناء المسجد ونسبته إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القضايا التي لم تحسم لأننا لا نملك الدليل القطعي على ذلك. دخول دومة الجندل تحت لواء الدولة الاسلامية

الناشئة في وقت مبكر واسلام عدد كبير من سكانها يجعل وجود مسجد ضرورة ملحة وبالتالي فان نسبة المسجد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ربما لم تأت من فـراغ ، إلا أن المصادر الاسلامية لم تذكر شيئا عن ذلك ، وبالتالي سوف تظل هذه القضية تثير المزيد من الأسئلة حتى يتسنى قيام أعمال حفر داخل المسجد قد تمدنا بأدلة مادية تحدد تاريخ بناء المسجد ومراحل استخدامه خلال العصور الاسلامية .

مسجد أثري يقع إلى الشرق من قلعة مارد :

يقع هذا المسجد إلى الشرق مباشرة من قلعة مارد في منتصف ساحة مكشوفة تتخللها تلول أثرية وبقايا مبانٍ مهدمة . لاحظ كاتب هذا المقال في احدى زياراته لدومة الجندل وجود بقايا كتله معمارية تمثل جزءاً من مبنى تهدمت أجزاؤه الأخرى وعند مشاهدة هذه الكتله المعمارية من جهتها الشمالية اتضح أنها تمثل جزءاً من جدار قبلة لمسجد يتوسط هذا الجدار محراب ومنبر مشابه تماماً لمحراب ومنبر مسجد عمر .

بقية جدار القبلة وتفاصيل المسجد الأخرى مهدمة بالكامل ولم يبق منها إلا بئر قديمة يظهر أنها كانت تقع ضمن جدران المسجد وربما في احدى زوايا صحنه . إن طبيعة الجزء المتبقي من المسجد تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قدم هذا المسجد الذي كان يخدم المنطقة السكنية المهدمة المحيطة به من جميع الجهات .

تحديد تاريخ بناء هذا المسجد لن يكون ممكناً حتى يتم حفر المسجد والمنطقة المحيطة به .

بقايا المدينة القديمة (حي الدرع) :

الجزء المتبقي من المنطقة السكنية لمدينة دومة الجندل الاسلامية يتمثل الآن في حي الدرع الواقع إلى الشمال من قلعة مارد والملاصق لمسجد عمر بن الخطاب . يقع حي الدرع في وسط دومة الجندل القديمة وتحيط بالحي من الجهتين الشمالية والشرقية مزارع النخيل ، بينما تقع سوق المدينة القديم إلى الجنوب الغربي من المباني القائمة . هدم سوق المدينة مع أجزاء من حي الدرع الغربية والجنوبية قبل أكثر من عشرين عاماً ومساحة الأجزاء التي هدمت من المدينة القديمة تمثلها الساحة المكشوفة الواقعة إلى الجنوب الغربي من مسجد عمر ، لذلك فمساحة الحي الحالي صغيرة قياساً الى وضع الحي قبل عملية الهدم .

منشآت الحي المعمارية القائمة تعود للعصر الاسلامي الوسيط لكنها في الوقت نفسه تقوم فوق طبقات أثرية وأساسات مبان مبكرة يعود بعضها لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد . والحفريات الأثرية التي تمت داخل هذا الحي أكدت وجود أدلة أثرية تحت مستوى أساسات المباني الحالية تعود لعصور ما قبل الاسلام ، وهذا يؤكد استمرار سكنى المدينة خلال العصور التاريخية المختلفة وماهذه المباني القائمة الا استمرار لمدينة دومة الجندل المبكرة .

في هذه الدراسة المختصرة سوف نركز فقط على الخصائص التخطيطية والمعمارية لما تبقى من مدينة دومة الجندل الاسلامية حيث تشير الأدلة الأثرية إلى أن نمط التخطيط وعناصر العمارة المتمثلة في هذا الحي هي الصفة الغالبة على وضع مدينة دومة الجندل بكاملها كما تظهر بوادر ذلك في بقايا منشآت معمارية تقع إلى الشرق من قلعة مارد وتحمل سمات تشابه تلك التي نراها في حي الدرع .

مداخل الحي :

مساحة حي الدرع وتوسطه تفرض وجود عدد من المداخل التي تسهل حركة السكان باتجاهات مختلفة ، لذلك ربطت المنطقة الوسطى من الحي بعدد من المداخل التي تؤدي إلى أجزاء المدينة المختلفة . من خلال وضع الحي القائم هناك ثلاثة مداخل ، الأول يقع فى الجهة الجنوبية بالقرب من مئذنة مسجد عمر ، وهو المدخل الرئيس للحي الذي يربط مساكن الحي بمنطقة السوق والمسجد والقلعة . كان هذا المدخل يمر عبر جسم مئذنة المسجد باتجاه مدخل ذي عقد دائري لازال قائماً في الوقت الحاضر . المدخل الثاني يقع في منتصف الواجهة الشرقية للحي في نهاية ممر ضيق يتجه من الميدان الأوسط باتجاه الشرق ويؤدي إلى مزارع النخيل الواقعة شرق الحي . المدخل الثالث يقع في نهاية ممر ضيق يتجه من الميدان الأوسط شمالاً ويؤدي إلى مزارع النخيل الواقعة شمال الحي .

الشوارع الضيقة والأزقة :

تمثل الشوارع والأزقة الملتوية والضيقة أهم ملامح مدينة دومة الجندل القديمة ، هذه الخاصية تشترك فيها معظم المدن القديمة في الجزيرة العربية وكانت أحد المؤثرات التي فرضتها الظروف المناخية على تخطيط المدينة .

جميع شوارع وازقة حي الدرع ملتوية وضيقة ويتراوح عرضها بين ١ر٥ ـ ٢ر٥م تقريباً تزيد وتنقص في بعض الأماكن . الممر الرئيسى في الحي هو الممر الذي يربط المدخل الجنوبي (الأول) بالميدان الأوسط ذي العقود . الميدان الأوسط مثل النقطة المركزية في الحي الذي ربط بأربعة أزقة ضيقة تربط أجزاء الحي المختلفة بالمنطقة المركزية . تصميم هذه الممرات والأزقة بهذا الوضع له ميزات بيئية واجتماعية وأمنية .

الميدان الأوسط :

يقع الميدان الأوسط في قلب حي الدرع ويمثل القلب بالنسبة للحي مساحة هذا الميدان ليست كبيرة ، الجزء المغطى من الميدان بمجموعة من العقود نصف دائرية مدببة تبلغ مساحته ١٢×٦م . تعلو هذا الميدان ثلاثة عقود متوازية باتجاه شمال جنوب ، تحمل هذه العقود سقفاً مستوياً من خشب الأثل وسعف النخيل كما تصطف على جانبي هذا الميدان مصاطب حجرية استخدمت للجلوس كما يظهر من اسطحها الملساء . يرتبط بهذا الميدان أربعة ممرات تربط أجزاء الحي المختلفة .

منازل حي الدرع :

حي الدرع أهم الأحياء السكنية القديمة بدومة الجندل ، ويتكون هذا الحي من مجموعة كبيرة من المنازل ذات أحجام مختلفة. يعتمد نمط تخطيط هذه المنازل على وجود فناء أوسط أو فناءين أمامي وخلفي تفتح عليها وحدات المنزل المختلفة . تتكون منازل حي الدرع في غالبها من دورين وفي حالات محدودة من ثلاثة أدوار الدور الأرضي يقسم إلى قسمين ، غرفة الاستقبال الرئيسة (المجلس) خاصة بالرجال ويتقدمها عادة فناء صغير الحجم ويفتح هذا الفناء على أحد الممرات أو الأزقة التي تتخلل الحي القسم الثاني من الدور الأرضي خصص لأهل الدار، وغالباً ما يتكون هذا الجزء من غرفة أو غرفتين ومطبخ معزول ومستقل في معظم الحالات ، تفتح غرف هذا الجزء على ساحة خلفية كبيرة . الدور العلوي يحتوي على عدد محدود من الغرف بعضها خصص للاستخدام الصيفي وهذا يظهر من عدد النوافذ واتساعها وكبر حجم الداخل .

يتقدم هذه الغرف فناء علوي مكشوف محاط بجدران بارتفاع قامة الانسان .

مدينة سكاكا في العصر الاسلامي :

أكـدت الأدلة الأثرية التي وجـدت في مدينة سكاكا وفي محيطها مراحل الاستيطان التي مرت بالمدينة والتي تبدأ من قرون عديدة تسبق الأسلام . عثر على بعض الأدلة الأثرية مـثل وجـود كسـر من فـخـار فـترة العـصـر الحديدي المتأخر (القرن الخامس قبل الميلاد) حول قلعـة زعبل ، اضافـة إلى بئـر سيسـراً التي يعتقد أنها تعود للعصر النبطي (القرن الثالث قبل الميلاد - القرن الثاني الميلادي) يضـاف إلى ذلك عـدد كـبـيـر من النقـوش الثـمـودية والنبطيـة التي تنتشـر في مـدينة سكاكا والمناطق القريبة منها . كل هذه الأدلة تؤكـد أن مـدينة سكاكـا كـانت مـركـزاً سكنيـاً مـهـمـاً في تلك المرحلة وتؤكـد كـذلك أن الاستيطان في المدينة لم ينقطع حتى العصر الحالي . بقايا المدينة القديمة اختفت ولم يصل إلينا منها سوى قلعة زعبل وهذا كان محصلة لعدة أسباب منهـا الاسـتـمـرار السكني في المدينة الذي أدى إلى هدم المباني في عصـور مـختلفة وكان لضعف مادة البناء المستخدمة وهي اللبن والطين دور كبير في زوال المباني بعكس مدينة دومـة الجندل التي حـافظت على أجزاء من مبانيها التي شيدت من الحجارة .

أشـار ياقـوت الحـموي الذي توفي سنة ٦٢٦هـ إلى مـدينة سكاكا وذكـر أنهـا احـدى القرى التي منها دومة الجندل وذكر أنه كان يحيط بسكاكا سور كما لدومة الجندل لكن سـور دومـة الجندل أكـثـر تحـصـينا . هذه الاشارة تعد أقدم ما وصلنا عن سكاكا في العـصـر الاسـلامي ، ولا شك أن لهـذه المعلومات أبعاداً كثيرة يمكن أن نبني عليها بعض الآراء حول وضع المدينة خلال العصور الاسلامية المبكرة . فالأشارة لوجود أسوار لمدينة سكاكـا في نهـاية القـرن السـادس الهـجـري تؤكـد أن المدينة كـانت مـزدهـرة معمارياً لأن الأسوار غالباً ما تنشأ في مرحلة ازدهار المدن وتوسعهـا عمرانياً مما يجعل حـمـاية هذه المنشـآت أمـراً ملحـاً . والآثار المعمارية فيها أختفت تماماً ربما نتيجة لتلك الظروف التي أوردناه أعلاه .

قلعة زعبل :

تقع قلعة زعبل في الطرف الشمالي لمدينة سكاكا ، وتقف فوق قمة مرتفع صخري معزول تطل على مدينة سكاكا الواقعة إلى الجنوب منها . يرتفع مستوى القلعة عن الأرض المحيطة بمقدار ٢٥متراً ، وهذا الارتفاع جعلها موقعاً مهماً حيث استخدمت القلعة للمراقبة والدفاع عن المدينة .

شيدت قلعة زعبل من الحجر الرملي والطوب اللبن بطريقة غير متقنه مقارنة مع عمارة قلعة مارد . ومخطط القلعة يأخذ شكلا غير منتظم حيث اتخذ مسقط القلعة شكل قمة المرتفع الصخري . طول القلعة ٥٠متراً وعرضها يتراوح بين ١٧ و ٢٠متراً.

تحف بأركان المبنى أربعة أبراج دائرية أكبرها البرج الملاصق لمدخل القلعة الواقع في الواجهة الجنوبية . أما التكوين الداخلي للقلعة فيتكون من ساحة مكشوفة تحيط بها الأسوار والأبراج الأربعة . في منتصف الساحة من الجهة الشمالية توجد غرفة وحيدة منفصلة ذات مسقط شبه دائري ، هذه الغرفة بنيت فوق مرتفع صخري صغير أعلى من أبراج القلعة إلى يسار المدخل وملاصقة للسور الداخلي توجد غرفة مستطيلة ذات مدخل يفتح باتجاه الشمال ويقع على جانبي هذا المدخل نافذتان .

القلعة محاطة بسور خارجي، يتصل بالأبراج . أساسات هذا السور والتي شيدت من الحجر الرملي حتى أرتفاع ١م ، اما الأجزاء العلوية من الأسوار فاستخدم في بنائها الطوب اللبن . ارتفاع أسوار القلعة ٢ ـ ٢٫٨٥ م وسماكة جدرانها ٦٠ ـ ٧٠ سم .

يصعب تحديد تاريخ بناء القلعة بشكل دقيق في غياب دليل مادي أو نص كتابي يحدد بشكل قاطع تاريخ البناء . الأدلة الأثرية التي وجدت حول القلعة والتي يعود أقدمها للقرن الخامس قبل الميلاد، اضافة إلى عثور كاتب المقال على أنماط من الفخار العباسي في سفح المرتفع الصخري الذي تقوم عليه القلعة، هذه الأدلة تشير الى احتمالية تاريخ القلعة ليس فقط للعصر الأسلامي المبكر بل ربما لعصر ما قبل الأسلام .

قصر القدير إلى الغرب من قارا :

يقع هذا القصر إلى الجنوب من سكاكا وإلى الغرب مباشرة من قارا .بني القصر على الحافة الشرقية لسلسلة الجبال الواقعة غرب قارا. المبنى صغير جداً وغير منتظم مساحته حوالي ٧×٥٫٦م يتكون مخطط المبنى.من برج كبير يقع في الجزء الشمالي الغربي وأخر صغير يقع في الركن الجنوبي الشرقي تنحصر بين البرجين مساحة مكشوفة يقسمها جدار أوسط إلى قسمين . بنيت جدران المبنى على سفح صخري ، تبلغ سماكة هذه الجدران ٣٠ ـ ٤٠ سم وارتفاعها يتراوح بين ٨٠ رم ـ ٢م .

المدخل الوحيد للمبنى يوجد في الواجهة الجنوبية الشرقية ويمكن الوصول إلى مدخل المبنى عن طريق درج شيد محاذياً لسطح الجبل . استخدم في بناء هذا القصر أحجار رملية مجلوبة من الجبال المحيطة وبني بطريقة بدائية غير متقنه .

أهمية هذا المبنى تنبع من وجود نقش كتابي يؤرخ لهذا البناء وجد على أرضية صخرية تقع مباشرة إلى شمال المبنى بمسافة حوالي أربعة أمتار . قراءة هذا النقش كالتالي :

١ ـ قام حماد بن كعب في عمارة هذا البيت .

٢ ـ سنة ثمنية عشر وخمسمائة .

٣ ـ وكتب بريك بن جبر غفر الله له ذنوبه .

٤ ـ أول يوم من المحرم .

يؤرخ هذا النقش بناء القصر لليوم الأول من شهر محرم سنة ٥١٨هـ . وحدد الشخص الذي قام بانشاء هذا المبنى وهو حماد بن كعب . المبنى مهم جداً لكونه يحمل نصاً تأسيسياً ، وهو المبنى الوحيد في المنطقة الذي يؤرخ بشكل قاطع . وإلى الشمال من المبنى وعلى مسافة ٢٠٠م تقريباً لوحظت بئر قديمة وإلى الشمال منها توجد بعض الأساسات الحجرية التي تنتشر على مساحة محدودة ، أما الفخار الملتقط من هذا الموقع يشير الى فترة القرن السادس ـ السابع الميلادي مع وجود بعض كسر الفخار الأموي . هذه الأدلة أقدم بكثير من البناء القائم .

الآثار الخطية (الكتابات الاسلامية) :

تنتشر في منطقة الجوف أعداد كبيرة من النقوش الاسلامية المبكرة في مواقع مختلفة من المنطقة ، وقد تم تسجيل أكثر من ١٢٠ نقشاً معظمها يتركز في قارة النيصة غرب مويسن وجبل الحماميات ، والقرعاء غرب سكاكا ، وموقع القدير غرب قارا . معظم هذه الكتابات دونت بالخط الكوفي البسيط . تقسم هذه النقوش حسب مضامينها إلى أربع مجموعات . المجموعة الأولى تحوي مضامين ذات صبغة دينية مثل طلب المغفرة والرحمة واعلان الشهادة . المجموعة الثانية عبارة عن نصوص ذات صبغة تجديفية المجموعة الثالثة عبارة عن نقوش تذكارية . أما المجموعة الرابعة فهي عبارة عن نقوش تأسيسية تؤرخ لمبنى . وأقدم هذه النقوش

وأهمها نقش مؤرخ لسنة ١٢١هـ وهذه النقوش مهمة في دراسة تطور الكتابة العربية خلال العصر الأموي .

نقش من قارة النيصة :

عثر على هذا النقش على الواجهة الصخرية الغربية لقارة النيصة إلى الغرب من قصر مويسن . يتكون هذا النقش من تسعة أسطر وكتب بخط كوفي بسيط ومؤرخ بسنة ١٢١هـ . يعد هذا النقش أقدم النقوش العربية المؤرخة التي وجدت في منطقة الجوف .

قراءة النقش

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم .
٢ ـ اللهم اغفر للاحارث .
٣ ـ بن صاغر ما تقدم من ذ
٤ ـ نبه وما تأخر امين ثم ا .
٥ ـ مين رب محمد وا .
٦ ـ برهيم رب العلمين و
٧ ـ كتب في وحدة و .
٨ ـ عشرين وماية سنة .
٩ ـ ان الحكم لله .

الإعلام العربي بين أخطاء الحاضر وتطلعات المستقبل

د. عبدالرازق العصماني

أستاذ الاعلام بجامعة الملك عبدالعزيز

مقدمة :

يعتقد البعض أن حاصل جمع وسائل الإعلام القطرية العربية يساوي إعلاماً عربياً . بمعنى أن هؤلاء يرون أن الإعلام العربي هو الإعلام السعودي + الإعلام الكويتي + المصري + الإعلام الأردني .. الخ . والواقع أن هذا الاستنتاج لا يقوم على أي أساس ، فالمعروف أن لكل دولة عربية وهي تشكل وحدة سياسية قائمة بذاتها نظامها السياسي الخاص وكذا نظامها الاقتصادي والإعلامي ، وعلى هذا فإن الحديث عن إعلام عربي بهذا المفهوم يشبه إلي حد كبير الحديث عن ما نسميه أحياناً « بالوطن العربي » وكأننا نتحدث بالفعل عن كيان سياسي واحد اسمه الوطن العربي .

لقد أثبتت الأحداث المتلاحقة منذ الحرب العالمية الثانية عندما انقسم الإعلام في الدول العربية إلى ثلاثة معسكرات أحدها مع دول المحور والثاني مع الحلفاء والثالث لم يكن له هوية واضحة . أن الحديث عن إعلام عربي واحد هو فكرة اتوبيه تعكس أحلام العرب بدلاً من واقعهم .. ولم يكن حاله في الخمسينات والستينات من هذا القرن بأفضل مما كان عليه قبل ذلك ، فلقد ظلت النظرة الجغرافية الضيقة والطموحات القطرية لكل دولة عربية هي المرشح الأساسي للإعلام بل لقد كانت هي التي ترسم الهوية الإعلامية وتحدد مسار الإعلام واتجاهه .

وهناك من يظن خطأً أن الإعلام العربي هو كل إعلام تحدث باللغة العربية وفي هذا يتساوي الإعلام الصادر من أي دولة عربية مع الإعلام الإسرائيلي الناطق باللغة العربية أو الإعلام الصادر من بريطانيا أو الولايات المتحدة . وفي

* محاضرة قدمت ضمن ندوة « الاعلام العربي حاضراً ومستقبلاً » التي أقيمت بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بتاريخ ٩/١١/١٤١٥هـ = ٩/٤/١٩٩٥م .

المقابل فإن هناك من يتصور أن الإعلام العربي هو كل إعلام يصدر من أرض عربية وبلغة عربية ، وهذا أيضا غير صحيح فهناك إعلام يصدر من دولة عربية بلغة عربية ولكنه لا يحمل أي صفة من صفات الإعلام العربي، فهو إما مغرق في محليته ، وإما يفتقر إلي الخصائص الأساسية التي تؤهله لصفة العروبة ، بل إننا حتى لو أخذنا صفة واحدة هي اللغة فقلنا إن الإعلام العربي هو الإعلام الذي يتحدث باللغة العربية الفصحى لواجهتنا مشكلة ضخمة وهي أن دولاً أخرى غير عربية ينطق إعلامها بلغة عربية أفصح من لغة الإعلام الصادر عن دول عربية عديدة .. وأخيراً فإن هناك من يعتقد بأن الإعلام العربي هو ذلك الذي يوظف نفسه لخدمة القضايا العربية وهذا أيضاً يثير مشكلة أخرى فهناك أيضاً محطات إذاعية غير عربية تهتم بالقضايا العربية كاهتمام الإذاعات الغربية بها ، فإذاعة لندن مثلاً اهتمت بقضية فلسطين واهتمت بقضايا عربية عديدة وأفردت لها مساحات كبيرة في نشراتها وبرامجها قد يفوق ذلك الكم الذي تفرده الإذاعات العربية نفسها بل وأحياناً برؤية وعمق لا يتوفران في الإعلام الصادر من دول عربية عديدة .

ماهو الإعلام العربي إذا ؟

بناء على ما تقدم من استعراض لاستنتاجات لا تؤدي إلى التعريف المطلوب يمكننا القول أن الإعلام لكي يكون عربياً لا بد وأن تتوفر فيه الخصائص الآتية :

١ ـ أن تتوافر فيه كل خصائص الشخصية العربية ، فلقد عُرف العربي من قديم الزمان بأنه شجاع صادق ذو مروءة .

٢ ـ باعتبار أن الإعلام العربي ينطلق من العرب ويتحدث عن أمة العرب فلا مناص من أن يدين بدين العرب وهو الإسلام وعلى هذا فإن خصائص المسلم أو الصفات التي تلعب دوراً أساسياً في الشخصية الإسلامية يجب أن تطبق على الإعلام أيضاً فالمسلم يجب أن يتصف بالصدق والنزاهة والأمانة والعدالة والشجاعة في قول الحق وأن يبتعد عن النفاق والكذب والتضليل والتهويش .

٣ ـ أن يعبر الإعلام في مضمونه عن تاريخ عربي مشترك وحضارة عربية إسلامية مشتركة .

٤ ـ أن يكون إعلاماً ملتزماً بقضايا العرب بمعنى أن يكون ميدانه الواسع ما يلتقي فيه العرب ، وما أكثر ما يجمع العرب .

٥ ـ أن ينطلق من منطلقات فلسفية دينية واحدة ففقدانه لهذه المنطلقات جعله مهزوزاً وأدى فيما أدى إلى فقدان الإنسان العربي لثقته به ونتج عن ذلك أزمة مصداقية وهي مشكلة لا يستطيع الإعلام العربي أن يعيدها من جديد إلا بالالتزام بهذه المنطلقات .

وبناء على هذا فإن الإعلام العربي هو ما كانت هويته إسلامية عربية ومنطلقاته وأهدافه عربية وعندها لن يكون مهما إن صدر بلغة عربية أو بأية لغة أخرى ولن يكون مهما إن أنطلق من أرض عربية أو من أية أرض أخرى .

هذا العريف يضعنا أمام تطلعات مستقبلية متفائلة غير أن هذا التفاؤل لا يجب أن يأخذنا بعيداً فالإعلام العربي منذ نشأته لم يكن عربياً إسلامياً بل قام على أكتاف عدد من المسيحيين في مصر ولبنان من أمثال سليم وبشارة تقلا وجرجي زيدان وغيرهم ، وحتى وسائل الإعلام الإلكترونية الراديو والتليفزيون فكانت نشأتها غربية حتى ولو كانت في بلاد عربية ، لم يفدهما أنهما كانتا تصدران باللغة العربية .

أخطاء الماضي والحاضر :

لكي نكون أكثر إنصافاً للإعلام العربي فإننا نورد هنا مجموعة من الأخطاء التي أدت إلى ضعف الإعلام العربي ، القسم الأول من هذه الأخطاء هي ليست مسئولية الإعلام العربي بل مسئولية قوى أخرى ، أما المجموعة الأخرى من الأخطاء فهي من صنعه ونتائجه .

أولاً : المؤثرات الخارجية :

١ ـ نُظر إلى الإعلام العربي دائماً على أنه خادم للسياسة وليس بديلاً عنها ، وعلى هذا فإن الإعلام لم يتح له دائماً أن يختلف مع القيادة السياسية وفقدت بذلك القيادة السياسية والجماهير العربية على حد سواء صديقاً كان يمكن أن يكون صادقاً بدلاً من أن يكون مصدِّقاً ، فكما هو معروف صديقك من صدَقك لا من صدّقك ، وكان يمكن أن يطرح الإعلام رؤى بديلة تساعد في الإصلاح والاعمار والتنمية ولكنه اكتفى

بدور إعلامي محدد لا يطرح الأفكار ولا يناقشها باسم الجماهير ، بل أنزلق إلى التضليل والتزمير ، وضاع وأضاع معه الجماهير العربية نفسها .

٢ ـ انزلقت الجماهير العربية في نفس الضلال الذي انزلق فيه الإعلام العربي ، فالإعلام صدق القيادات وطبل لها ولم يخدم الجماهير ثم ما لبثت الجماهير العربية أن صدقت الإعلام ولم تمارس عليه أي ضغط ليغير من استراتيجيته .

ولم تستنكر عليه شيئاً إلا في أحاديث المجالس ، أما المباشرة الفعلية في الإعلان عن عدم الرضا فلم تحدث أبداً، وكان بإمكان الجماهير العربية أن تحجم عن شراء صحف بعينها لتجبرها على تغيير مسارها أو تعديل لهجتها ولكن شيئاً من هذا لم يحدث مما أدى إلى أن الإعلام العربي صدق نفسه بنفسه واعتقد أنه كان فعلاً خادماً للجماهير ولم لا وهو لم يرَ أحداً يعبر عن رأي معارض .

٣ ـ لم تتفهم القيادات السياسية ولا الجماهير الدور الحقيقي للإعلام ووظيفته في خدمة المجتمعات العربية فطلب من الإعلام العربي أن يوحد بين العرب ويعالج مشاكلهم مهما كانت حتى لو كانت خارج نطاق إمكاناته بل لقد طلب منه في وقت من الأوقات أن يحرر فلسطين كما طلب منه دائماً أن يعبر عن صورة قومية مفتقدة وغير موجودة أصلا إلا في أحلامنا .

٤ ـ مشكلة وسائل الإعلام في العالم العربي أنها فعلاً وسائل بمعنى أنه لم ينظر إليها في أية مرحلة من المراحل على أنها مؤسسات مستقلة يمكن أن تؤدي وظائفها باستقلالية كما هو الحال بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمدرسة والأسرة والمسجد .

٥ ـ لم يُستدع الإعلام إلا في دول عربية محددة لأغراض محدودة للمشاركة في عملية التنمية والمشاركة هنا تعني إسناد دور أساسي في عملية التنمية تكون واضحة كل الوضوح لوسائل الإعلام .. فلقد هُمش دور وسائل الإعلام واعتقد القائمون عليه في غياب تخطيط مركزي أنهم يعرفون تماماً ما هو المطلوب منهم مع أنهم لم يكونوا كذلك كما أدى إلى أن معالجتهم عشوائية ومضطربة .

٦ ـ طرح ويطرح دائماً سؤال تقليدي وهو ما الدور الذي يلعبه الإعلام في عملية التنمية في الوطن العربي ؟ وكان من الأجدر أن يطرح السؤال بشكل مختلف وهو ما دور

التنمية في الإعلام ؟ بمعنى أنه قبل أن يطلب من الإعلام أن يلعب أي دور في عملية التنمية فإن التنمية ذاتها يجب أن تساعد على تطويره وتحسين وسائله فهناك دول عربية ميزانية الإعلام فيها متدنية وإمكاناته ضعيفة بل إن التلفزيون والإذاعة والصحافة لا تصل لأكثر من ٤٠٪ من سكان المجتمعات العربية ، فكيف يطلب من الإعلام بعد ذلك أن يلعب دوراً في التنمية ؟ .

ثانياً : أخطاء من صنع الإعلام العربي نفسه :

١ ـ ابتعد الإعلام العربي عن هويته الإسلامية واستبدلها بثوب قومي أو وطني ، ورغم أنه قد طنطن وشنشن بالقومية في فترة الستينات وفي أوج الناصرية إلا أنها فقدت ذلك البريق بعد ذلك ففقد الإعلام هويته أما الذين تقوقعوا في وطنيتهم الضيقة والتي قد لا تزيد أحياناً عن عدة مئات من الكيلو مترات طولاً وعرضاً فقد قدموا إعلاماً قزماً خدع بنفسه وغرر به ففقد كل شيء وفقد هويته أيضاً .

٢ ـ الإقناع عن طريق الشرعية : اعتمد الإعلام العربي منذ نشأته على الأنظمة السياسية يستمد منها مصداقيته وعلى هذا الأساس فقد اهتزت مصداقيته أمام الجماهير العربية وحتى إذا اهتزت مصداقية الأنظمة السياسية فإن الإعلام العربي هو الذي دفع ثمنها ، لأن الزعماء كانوا يتحدثون من خلاله، حتى نسي الناس الحكام وتذكروا وسائل الإعلام . لقد راهن الإعلام العربي على مسألة أنه مادامت الجماهير العربية تثق في حكامها فإنها يجب أن تثق في ما يقوله الإعلام ولكن الزمن تغير والأحوال تبدلت فالاقتناع اليوم لا يتم إلا بالمعلومة الجيدة ولكن نسبتها في الإعلام العربي مازالت ضئيلة جداً .

٣ ـ التهوين من عقلية الإنسان العربي : وهي مسألة ذات ارتباط واضح بالنقطة السابقة لقد حدث انفجار معرفي كوني ترك أثراً واضحاً على تشكيل الحضارة الإنسانية ولكن هذا للأسف لم يمتد إلى الإعلام العربي الذي ظل يستخدم أسلوب الصناعة اللفظية الخالية من المضمون ورغم أن هناك من يعتقد أن الإعلام العربي استمد هذه الخاصية من الأدب العربي نفسه وأن نشأة الإعلام في العالم العربي كانت أدبية إلا أن الإعلام كان عليه أن يساير عصر المعلومة وأن يبتعد عن الأساليب البالية في التخاطب

مع الجيل الجديد . إن أبناءنا الآن يناقشوننا ولا يتقبلون آراءنا بنفس الطريقة التي كنا نفعلها بها نحن ، ومعنى هذا أن العصر قد تغير وأن لغة التخاطب قد تغيرت بيد أن الإعلام العربي لم يجدد من لغته ولا من أساليبه التي ظل يتوارثها منذ ستين عاماً أو أكثر . فهناك كتاب وصحفيون لا زالوا يكتبون للموتى أي بلغة ما قبل ستين عاماً .

٤ ـ وقع الإعلام العربي في مصيدة الإعلام الغربي بسهولة وروج للكثير من أطروحاته ومصطلحاته لعل من أبرزها على سبيل المثال لا الحصر :

أ ـ الوطنية : بالمفهوم العربي الضيق حتى أدت فيما بعد إلى ما يمكن تسميته « بالقزمية » وهو محاولة انسلاخ دويلات وشعوب عربية عن الأمة العربية الواحدة .

ب ـ الحرية بالمفهوم العربي أيضا والذي يقوم على فكرة أن الإعلام الحر هو الإعلام الذي يناصب الحكومات العداء حيث تكون قاعدته هو الاختلاف مع هذه الحكومات ومصارعتها بأية صورة من الصور وتناسى أن الحرية لا تستورد ولكنها تفلسف من داخل المجتمع .

جـ ـ الأصولية : وهو مصطلح أخذ من الإعلام الغربي ـ Fundamentalism وتعني باختصار أولئك الذين يلتزمون بأصول العقيدة ولكنها أصبحت مرادفة للإرهاب بفضل الإعلام الغربي والعربي معا .

د ـ القومية العربية : وقد طنطن لها الإعلام العربي كثيراً خاصة في عهد جمال عبدالناصر ولكنها ما لبثت أن تهاوت بعد زوال رموزها والذي كان هو من أبرزهم .

هـ ـ حقوق الإنسان : وهي جملة من المفاهيم ذات التفسيرات الغربية الخاصة والتي تنحدر من جذور فلسفية غربية لكبار الفلاسفة الغربيين ورغم أن الكثير من دول العالم ومفكريها قد أبدت تحفظاً حيالها نظراً لأنه حتى لو اتفق البشر حول هذه الحقوق فإنهم لن يتفقوا حول إيجاد تعريفات محددة لها تكون مقبولة من جميع سكان المعمورة .

و ـ استخدام الإعلام العربي مصطلحات أطلقها الإعلام الغربي أو صناع القرار من السياسيين في الغرب مثل « الشرق الأوسط » وقد ظلت تلك النظرة الإقليمية البسيطة هي السائدة منذ منتصف الستينات إلى الآن حتى خيل للبعض من الغربيين أنفسهم أن هناك دولة في العالم يطلق عليها الشرق الأوسط وحتى استوى في

ذلك العربي واليهودي والتركي والايراني في محاولة ناجحة لو أد الإحساس الإسلامي بالمشكلة . وهناك مصطلحات انقسم حولها الإعلام العربي إلى معسكرين تبعاً لانقسام القيادات السياسية وصار كل فريق يروج لمصطلحاته الخاصة مثل الامبريالية والتوسعية والاستكبارية والاشتراكية والشوفانية والانبطاحية والرجعية والعمالة والثورية والتحالفية والبترولية وكان يمكن أن تسهم هذه المصطلحات في إثراء قاموس الإنسان العربي لو أن لها مدلولات حقيقية ولكن معظمها كان خالياً من المضمون فظهر هراء وانتشر هراء وظل هراء وسيحتسبه التاريخ كذلك .

التجاهل والسكوت كأبرز خطأ من أخطاء الإعلام العربي

إن إعلام أية أمة هو نبضها وروحها المتوثبة دائماً نحو الحرية والخير والحق والاصلاح ، إنه باختصار وعي الأمة ، وعندما تصاب الأمة في وعيها فإنها تعيش على هامش الحضارة متخبطة مضطربة فاقدة للهوية وفاقدة للهدف .. وكان على الإعلام العربي أن يدافع عن مكتسبات الأمة العربية ويحارب من حاربها ولكن ليس بطريقة العراك بالأيدي كما تعود أن يفعل ، بل بالحجة والمحاورة المقنعة والمعلومة الجديدة .. كان على الإعلام العربي أن يكون مسالماً وعدوانياً ومتسامحاً ومهاجماً ولكنه بدلاً من ذلك كان منافقاً ومدافعاً ومضللاً وتابعاً وعاجزاً ، كان منافقاً لأنه تخلى عن دوره في التزام الحق مهما كانت تبعة هذا الالتزام ، ومدافعاً لأن الإعلام المضاد نجح دائماً في جعله يلتزم هذا الجانب .. ومن المعروف أن استراتيجية الدفاع ضعيفة دائماً ولذلك فإن الإعلام لم يتخذ زمام المبادرة في الهجوم الذي كان يمكن أن يحقق من وراءه الكثير من المكتسبات. وبدلاً من أن يتصدى الإعلام العربي كعادته لما يذاع أو ينشر في الغرب من مغالطات وافتراءات على العرب والمسلمين فإن الفرصة كانت متاحة له دائماً ليبدأ الهجوم وعلى سبيل المثال فإن الايدز أفتك أمراض هذا العصر كان يمكن أن يكون مدخلاً لحرب شرسة يخوضها الإعلام العربي ضد الغربي على طريقة العين بالعين والسن بالسن ولكنه بدلاً من ذلك اكتفى بتحذيرات أو معلومات شبيهة بتلك التي تصدرها المؤسسات الإعلامية الغربية وبدلاً من محاولة الدفاع عن العرب باعتبار أنهم ليسوا إرهابيين

كـان أمـام الإعـلام العـربي فـرصـة تاريخـيـة لمحاورة الحـضـارات الأخـرى حـول الإرهاب الإنسـاني الشـامل الذي يتـزعـمـه الغـرب بأسلحته الذرية الفتاكة ، بل ان الغرب نفسه الذي اخـتـرع أدوات الإرهاب ووسـائله كـان يمكن أن يواجـه مـواجـهـة شـجـاعـة بما فـعل ولكن هيـهـات فـإن حـالة اللاوعي التي كـان يعيشها الإعلام العربي لم تمكنه من هذا ...

وإذا كـان الإعـلام هو مـتـابعـة يومـيـة دقـيقـة لما يجـرى على السـاحة السـيـاسـيـة والعسكرية والاقتصادية والحضارية بوجه عام فـإن الإعـلام العـربي تفـرج على الكثـيـر من الأحداث ولم يقدم تقارير مفيدة عنها فبدلاً من أن يسـاعـد الإعـلام العـربي أطفـال الحـجـارة ويوصل قـضـيـتـهم إلى العـالم سـاعـد أطفـال الحجارة على تحسين صورة الإعلام العربي لدى المواطن الغربي رغم أن الإعلام الغربي هو الذي كـان مـتـواجداً في الميدان وهو الذي قـدم أطفـال الحـجـارة إلى العـالم ومـثـل ذلك حدث في الصومال وقبلها افغانستان وبعدها حـرب الخليج التي كـانت تجـري على أرض عـربيـة ومع هذا لم نكن نـعـرف عنهـا إلا من الإذاعـات الغـربيـة الموجـهـة أو اعـتـمـاداً على وكالات الأنباء الدولية .

لقـد ظلت وسـائل الإعـلام القطرية العربية بعيدة كل البعد عن المشاركة الفعلية اليومية للناس بما تطرحه وتناقشه وبما ترتب من أولويات في أجندتها اليـومـيـة فـالإنسـان العربي اليوم يجهل الكثير من المعلومات التي تهمه في ميدان الصحة العامة والبيئة وفي مـيـادين أخـرى عديدة ، لقد أغرقت المصـانع الغربية الدول النامية والدول العربية من بينها بأنواع لا حـصر لها من السلع الاستـهلاكية مثل الحلويات والبسكويت والأجبان والمربيات والزيوت والسـجـائر والمشـروبات الغـازية والأدوات الكهـربائيـة وغـيـرها كـثـيـر منهـا لا تخضع لمقاييس عـالمية ولا تتوفر فيها الشروط الصحية اللازمة للاستهلاك ، وفي غياب إعلام واع مـتـخـصـص يسـاعـد الناس علي اتخـاذ القرارات الصحيحة والاختيار المناسب . كما أن الريف العـربي لازال مـحـرومـاً من صـحـف تعـالج مشكلاته وتناقش قـضـاياه وتكون مرآة لثقافته وذاتيته . إن الإعلام العربي يركز على سكان المدن في توجـهـه البـرامـجي ويـهـمل المناطق البـعـيـدة إهمـالاً تامـاً مما أدى إلى خلخلة النظام الإعلام المحلي ، بل أن العربية مـازالت بعـيـدة كل البـعـد عن دائرة اهتـمـام الإعلام العربي ، فـالطفـل العـربي على سبيل

يتجاوز النسبة المخصصة له في وسائل الإعلام مرئية ومسموعة ومقروءة ٧ إلى ٩ ٪ هذا على الرغم من ازدياد ملحوظ في نسبة الأطفال سنوياً، أما المرأة فقد ظلت وسائل الإعلام العربية تتعامل معها على أنها لا تعدو أن تكون تصنيفاً صحفياً لا أكثر مثلها في ذلك مثل صفحة الرياضة والأدب والفن وغيرها . هذا التصنيف رفضته المرأة في العديد من دول العالم إذا أن تخصيص صفحات للمرأة يرسخ صورتها التقليدية الانعزالية ويهمش دورها في الحياة، وعلاوة على هذا فإن الموضوعات الخاصة بالمرأة ظلت حبيسة الأطر التقليدية المعروفة كالماكياج وإعداد الأطباق والنصائح المنزلية . لقد ظل الإعلام العربي بعيداً عن قضاياً مشاركة المرأة في التنمية وبعيداً عن قضاياً الوعي القومي والمشاركة السياسية وقضايا الحوار بين المجتمعات العربية . لقد أظهر تحليل قام به هذا الباحث إلى أن نسبة ما ينشر في أي صحيفة عربية من الأخبار عن الدول العربية المجاورة يتراوح بين ١٢ ، ١٨٪ على حين أن نسبة الأخبار الدولية غير العربية تصل إلى أكثر من ٥٣٪ ويعني هذا أن المواطن العربي لا يعرف ما يدور في الدول العربية المجاورة له وإن عرف فهو إنما يعرف عن طريق وساطة أجنبية من قبل وكالات الأنباء أو وسائل الإعلام الغربية . وحتى في تلك النسبة الضئيلة التي يعرفها تحتل الأخبار السياسية ذات الطابع الرسمي أكثر من ٩١٪ منها أما الأخبار الخاصة بالمجتمعات العربية الأخرى فهي لا تتجاوز ٣ ٪ من الـ ١٨٪ إذا استثنينا من ذلك الأخبار الفنية عن مصر بالذات باعتبارها مركز ثقل فني في المنطقة العربية حيث تحتل نسبة الأخبار عنها في الصحف العربية قدراً لا يستهان به حيث تحتل الأخبار التي تنشر عن مصر في أية دولة عربية ما يعادل ٢٨ ٪ من مجموع الأخبار التي تنشر عن الدول العربية المجاورة وعلى هذا فإن الحاجة باتت ملحة إلى المزيد من الصحف والمجلات العربية الصادرة عن هيئات وطنية أو تلك التي تصدر عن أرباب الفكر والأدب والتي لا تتصف بأي طابع حكومي أو حزبي أو إيديولوجي تكون مهمتها تطوير التعامل الحضاري بين الشعوب العربية كشعوب ذات توحد ثقافي وتاريخي وجغرافي واحد .

الإعلام العربي والرأي العام العربي :

تثار دائماً قضية جدلية وهي هل يؤثر الإعلام العربي في الرأي العام العربي ؟ أم يؤثر الرأي العام في الإعلام العربي ؟. وينقسم المجيبون على هذا السؤال إلي قسمين ، قسم متشائم يرى أن الإعلام العربي ليس له تأثير يذكر على الرأي العام بسبب عدم قدرته على صنع الأحداث وصياغة الفكر العربي والمساعدة في تشكيل الاتجاهات الجماهيرية الموحدة نحو القضايا الدولية سياسية أو غير سياسية ، ويرى هؤلاء المتشائمون أيضاً أننا حتى لو سلمنا بوجود أثر من أي نوع فإن هذا الأثر لا يعدو أن يكون أثراً عشوائياً والأهم من هذا أنه أثر وقتي يرتبط بأحداث معينة أو أزمنة معينة ، أما الفريق الآخر الأكثر تفاؤلاً فإنه يرى أن الإعلام العربي أثر تأثيراً واضحاً ومباشراً على الرأي العام ابتداء من معركته ضد الاستعمار ومروراً بمعركته مع الامبريالية والاستعمار ورموزها في الغرب والشرق وانتهاء بمعركة العرب مع اسرائيل ، ولكن هؤلاء يرون أن تأثير وسائل الإعلام العربي يرتبط ارتباطاً سببياً بالوعي الحضاري فإذا كان الإعلام العربي قد أخفق في بعض أهدافه في التأثير فإن ذلك يعود إلى قلة أو انعدام الوعي الحضاري في المجتمعات العربية مما يجعل مهمة الإعلام صعبة إن لم تكن مستحيلة وعلى كل فإن إعلام أي أمة يؤثر فيها ويتأثر بها ولكن تأثير الإعلام العربي كان دائماً متأثراً بمقدار الحريات المتاحة له وللجماهير ومن هنا فإن تأثيره كان محدوداً على الدوام خاصة وأن فلسفة الكثير من الإعلاميين العرب تقوم على فكرة أن الحرية تمنح ولا تنتزع بالعلم والكفاءة والتدريب المتميز . والواقع أنه وقبل أن نصطف مع أي من الفريقين اللذين يقتنعان بتأثير الإعلام على الرأي العام ، أو الرأي العام على الإعلام فإن هناك خلاف حول مفهومنا عن التأثير ، فتأثير الإعلام العربي كان عاطفياً في معظمه ولم يكن ذهنياً أو فكرياً كما أنه كان مرتبطاً بأحداث هي ذاتها كان لها طابع التأثير بمنأى عن وساطة الإعلام كقضايا التحرير أو الصراعات المسلحة الإقليمية أو بعض القضايا الأخرى .

وختاما ، فإن ما يحتاجه الإعلام العربي حقاً هو ثورة إعلامية شاملة تتناول وسائله وملكيته ومفاهيمه واستراتيجياته . إن إصلاحاً هنا أو هناك لن يفيد ، فالقفزات الإعلامية المتلاحقة في جميع أنحاء العالم ستجبره إما على التغيير وإما أن يكون له دور هامشي لا يخرج منه .. لكن أملنا في التغيير يتزايد يوماً بعد يوم خاصة بارتفاع نسبة التعليم وارتفاع مستوى الوعي الإعلامي والحضاري للشعوب العربية .

مسئولية الناقد بين الدخول إلى أعماق النص الأدبي والوقوف على مشارفه

د. / عالي سرحان القرشي

قد لا تكون معالجة هذا الموضوع ـ والرأي للزملاء المشاركين ـ هادفة إلى إزالة المعوقات التي تعتري هذه المواكبة ، والخروج بتوصيات أخلاقية لتعويض ما يستشعره البعض من نقص في هذا المجال ، لا يكفون عن ترديده ، بل إن بعضهم قد اتخذه مجالاً للسخرية والتندر .

لدينا في صفحة فعلنا الثقافي أعمال إبداعية متنوعة ،ولدينا أسماء شهرت بإبداعها ، وإن كانت أسباب الشهرة تختلف ، فحين لا يتجاوز بعضها الشهرة الاسمية ، نجد البعض الآخر يذكر له مميزات فنية تؤازر شهرته ، ولدينا أسماء أخر تشعر أن الموقف من إبداعها يشوبه تحفظ ، وأن الأسباب التي تضعها لإزالة هذا التحفظ لازالت مؤكدة له ، وهناك أعمال يرى النقاد وبعض الباحثين أنها لم تزل بعيدة عن السير النقدي الجاد .

فما أسباب هذا الخلط ؟ وكيف يتسنى للنقد أن يجلوه ؟

ففي الشق الاول سأوجز الإجابة ، وذلك لأن ما يبدو فيه جوانب سلبية ، يتكفل باختراق حجبها الكثيفة الوعي النقدي لعلاقة النقد بالإبداع ، والفعل الثقافي الذي أظهرته الحركة النقدية ، وهو ما يظهر في الشق الثاني الذي سيتسع فيه الحديث نسبيا؛ ذلك أنه مر علينا زمن غاب فيه التثمين لعمق الإبداع ؛ في عد من يحسن الكتابة الصحفية، والخاطرة العابرة أديباً مبدعاً ، وبعضاً من أولئك كان يتسنم مراكز قيادية في المنابر الجماهيرية ، فيدون ماشاء تحت ما يتوهمه صالحاً للدخول في أنواع الأجناس الأدبية ، وتلتف حوله الأقلام المتزلفة لتمدح وتشيد ، وأضحى الهدف من ذلك ، هو الظهور بمظهر الأديب والمفكر .

وقد ساعد على ذلك التسارع الى المشاركة في الفعل الثقافي ، ولو كان ذلك على حساب الابداع ، وذلك ما يظهر في العديد من الأعمال التي كانت تستنسخ ما يظهر في الساحة العربية، أو تتلقى الآلية لبعض الاجناس العالمية كالقصة والرواية ، وتفضي بكلام موزع على تلك الاليات لعده من القصة والرواية (١) ، ولست أقصد بهذا التقليل من جهد الرواد ، فالحكم على جهدهم في سياقه الفكري والاجتماعي يرجع لصالحهم ، وانما أقصد تصحيح النظر الى

* محاضرة قدمت ندوة « النقد الادبي » التي أقيمت بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بتاريخ ١٤١٦/١/٩هـ = ١٩٩٥/٦/٧م

مثل تلك الأعمال ، لأن ذلك النظر ضخّم حجم الكاتب الذي يستسهل الإبداع ، فأصبحنا نرى نفراً ممن واتتهم ظروف أفضل للطباعة والنشر ، والقرب من وسائل التزويق ، وأصحاب التزلف ، يعدون الآن في كتب الدراسات الأدبية مبدعين ، تتسابق أسماؤهم الى الاذهان ، وتتراقص كتبهم أمام الأنظار، فحضروا في الرصد والعد ، وغاب عن فعلهم النقد والتمحيص (٢) . وحينما رأى أولئك أن النقد كثيراً ما يتجاوزهم ، وأن الاعتراف بجهدهم الابداعي لا تثمنه الا حالات يشرع الاستفهام عنها ، بسبب غيابها النقدي على مستوى الساحة العربية ، وحضورها في هذه الحالات ، حين رأوا ذلك أخذوا لا يقنعون به ، ويصبون اللائمة على النقد في ساحتنا الثقافية ، الذي آمل ألا أظهر مدافعاً عنه ، بقدر ما أجلو غبشا لا يراه الكثير .

وقبل أن أنتقل إلى ذلك في الشق الثاني ، لن أتجاوز سؤالاً ملحاً مفاده لماذا سمح النقد بمثل ذلك ؟ وسأترك الإجابة عليه لاعتقادي بأنها ستتضح في الشق الثاني . الذي يتساءل عن مهمة النقد ، وعلاقته بالإبداع . لينتهي إلى الكيفية التي نتصورها للمواكبة النقدية .

يبدو لي ابتداء أن النقد أسمى من أن يكون تعليقاً على عمل ما أو إصدار تعليمات لصاحب ذلك العمل ، ولعل بعض نقاد العربية القدماء كان يدرك ذلك الأمر الذي تبلور في النقد العربي الحديث بشكل واضح، فأدونيس يقول : « النقد أكثر من قراءة ، ليس تفسيراً للنص أو تأويلاً وحسب . إنه معرفة ، أو هو ابتكار معرفة جديدة انطلاقاً من النص واستناداً إليه ، إنطلاقاً مما هو ومما قبله » وهو في رأيه أيضا « النقد كالفكر أو هو فكر لا يتغذى ولا ينمو إلا بالتساؤل المستمر . وهو لذلك يضع نفسه لا الاشياء وحدها ، موضع تساؤل دائم ، وإعادة نظره مستمرة» (٣) ولذلك كان النقد رحلة في النص ، لاكتشاف رحلته والنفاذ إلى باطنه ، كما يرى الدكتور / شكرى عياد حين يقول : « وظيفة النقد هي أن يصف رحلة العمل الأدبي من أرض الواقع إلى عالم المطلق أو المثالى « ولذلك فهو لا ينقد النص إلا حين يتعايش معه وينجذب اليه على نحو لا يقع تحت دائرة النقد التكنيكي المبرمج الذي « لا يحمل طابع المعاناة الفكرية أو النفسية ، ويكاد يخلو من أي ابداع « على حد قوله » (٤) . والدكتور محمد زكي العشماوي يشرح الخطوة الاولى من منهجه النقدي بقوله: « ومن هنا كان منهجي في النقد منهجا يحرص

أول ما يحرص على الاحساس بالأثر الفني بعد معايشته والالتصاق به التصاقا كاملاً ، يمكن أن نسميه كمال الاتصال ، ذلك الذي يتم فيه استغراق يوحد بين الناقد وموضوع نقده ، بحيث يصبح الموضوع ، أي الاثر الفني ، ذاتاً وتصبح الذات أثراً فنياً (٥). « ومن ثم لا يكون النقد اختباراً للنص الادبي في ضوء المعايير السابقة له ، لأن النص يجب ان يكون تحققاً إبداعياً ، قادراً على ارتياد الآفاق الجديدة ، فهو حركة في التفاعل مع الأسس النظرية ، ومع روح المبدع المتجددة، وبناء على ذلك فهو يستدعي من النقد أن يكون حاضراً بقواه في التلقي ، وبقدرته على الاستكناه ، وعلى الاستكشاف لما بين النص بجزئياته ، وبتفاعله مع الخارج الواقعي والخارج النصي ، من روابط تتجه بفعل النص الى وجهته الجديدة ، وذلك لأن الإبداع ليس استسلاماً للتأسيس النظري ، لأن ذلك لو كان كذلك لانكشف خواء النص ، وقولبته في الإطار الجاهز » (٦) .

إذا النقد الفاعل هو فعل إبداعي، له حرية الاختيار تماماً كحرية المبدع في كتابة نصه واختيار جنسه الأدبي ، فهو يحلل العمل وينشىء العلاقات بين تراكيبه وبين سياقه النصي ، ومنشأ الإبداع في ذلك يظهر في إعادة البناء لذلك التركيب ، لأن ذلك الصهر في علاقات جديدة هو فعل لهذا الجهد الكاشف لخبايا النص ، لكن هذه الكتابة التي يقوم بها الناقد المبدع ترتبط بفضاء الابداع النصي حيث إنه « يضاعف المعاني ويجعل لغة ثانية تطفو فوق اللغة الأولى للأثر أي أنه ينتج تلاحماً للعلامات » (٧) .

وكما أن النقد حر في الاختيار ، فهو أيضاً ليس جهة بوليسية تترصد الرديء ، ويحسب عليه شيوعه ، ذلك لأن الوقوف في وجه الاعمال الرديئة مسئولية ثقافية ، يشترك فيها الناقد بحكم وعيه الثقافي وغيرته ، لا بحكم إبداعه النقدي ، ويكون ما ينتجه الناقد في هذا المجال خارجاً عن دائرة إبداعه ، وذلك لأن الفعل النقدي لا يمكن أن يلتحم مع النص الموات ، ويرى أن خسارته جد جسيمة حين يضحي بقوة كشفه واستبصاره وصياغة بنى النص في أفق جديدة ، أمام نص غير قادر على التسامي الي تلك القوة .

ويقتحم الآن سؤال مفاده ، ما هو دور الناقد في اكتشاف التحولات الإبداعية ؟ انطلاقاً مما سبق بيانه من أن فعل النقد

الابداعي يرتبط بالنص ، فان هذا الصنيع هو وظيفة أخرى لا يشترك فيها وحده ، حيث أن الوعي الابداعي يجعل ذلك شركة بينه وبين المبدعين ، لكن تعامل الناقد مع نصوص مختلفة وأجناس يتباين نوعها وزمنها ، يجعله يتسنم الوعي بذلك التحول وتثمينه ، ومن هنا تكون مراكبة النقد للابداع ، ليست في متابعة كل نص ، وانما برصد التحولات والاستشراف لفضاءاتها الجديدة ، والوقوف على أزمتها مع التلقي .

وإذا عدنا إلي تبين فاعلية النقد في فعلنا الإبداعي المحلي في ضوء هذه التصورات وجدنا أن النقد حقق ما يلي :

١ ـ إدخال النقد في دائرة الإبداع .

٢ ـ الوعي بالتحولات الإبداعية .

٣ ـ ممارسة النقد لعملية نقد النقد .

ففي المسألة الأولى نجد أن النقد دخل بمسارعة شديدة في معترك النظريات النقدية، وحين أقول ذلك فإني أدعمه بما شهدناه من حوار هادىء أحياناً ، وصاخب أحياناً أخرى حول المناهج النقدية ، عاد أثره الى الاشكال الأدبية الجديدة ، وأساليب القول فيها ، فتجلت مشكلات الغموض ، وتداخل الأنواع الأدبية .

المهم أن النقد استلهم النظريات النقدية الحديثة ، وتسلح بها للقيام بمشروعه النقدي في ساحتنا المحلية ، وهذا تطلب في كثير من الاحيان مراجعة المقولات النقدية القديمة ، واستحضار ما يصلح منها للتأسيس عليه فكان أن شهدنا كتاب الدكتور / عبدالله الغذامي « الخطيئة والتفكير : من البنيوية الى التشريحية « قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر ، ولقد استدعى فقر خطابنا النقدي المحلي من تلك المناهج أن الغذامي سخر الجزء الأكبر من كتابه لعرض التطور النقدي في اتجاهه الالسني ، ليبني على ذلك مشروعه القرائي ، داعماً إياه بالجذور في النقد العربي وبان من خلال فعل الكتاب في ذاته وفي الساحة الثقافية ، أن العملية النقدية تسامت إلي فعل إبداعي غادر معه القارىء التلقي السلبي للنص ، إلي أفاق يوضحها الغذامي بقوله « وذاك لأن النص ليس عملا معزولاً يقف عارضاً نفسه ومعناه على قارئه، ولا يحتاج القارىء لشىء سوى إجادة قراءة الحروف ، وكان القارىء ليس سوىء مستهلك أدبي للانتاج اللغوى . إن الامر على عكس ذلك تماماً ، والنصوص الأدبية لا تتجه الى الخواء ، كما أنها لم تأت من فراغ ..

والقاريء حينما يستقبل النص فإنه يتلقاه حسب معجمه ، وقد يحده هذا المعجم بتواريخ للكلمات مختلفة عن تلك التي وعاها الكاتب حين أبدع نصه ، ومن هنا تتنوع الدلالة وتتضاعف ويتمكن النص من اكتساب قيم جديدة علي يد القاريء .. » (٨) .

ومثل هذا التأسيس النقدي المصحوب بنموذجه التطبيقي ، شهدناه أيضا في كتاب لناقد آخر هو : سعيد السريحي عن « شعر أبي تمام بين النقد القديم ورؤية النقد الحديث» والذي يهمنا من ذكر هذا الكتاب في هذا السياق أنه يمثل جهدا لتمثل منهج نقدي حديث ، يعتد بلغة النص ، وبقدرة الناقد على قراءة النص السالف « وفق منهج يتوخى تأصيل لغته الشعرية والكشف عن أبعاد الرؤية التي تتسلط على أبيات الشعر عنده فتحركها شكلاً ومضموناً حتى تخرج بها عما هو مألوف ومعتاد وتسمها بسمة التفرد والتميز والغرابة ، وبالتالي إنصاف أبي تمام واعطاء شعره قيمة حضارية تكشف ما يحتضنه من تجربة إنسانية خالدة تتجاوز حدود المكان والزمان وتستعلى على كل معيارية تحاول حصر الآفاق القصوى للرؤية الشعرية في بوتقة محددة تحديداً يتجاهل أشواق الإنسان ، وتطلعاته المترامية إلى اللانهائي والمطلق » (٩) .

وقبل أن نستكمل الحديث عن هذه النقطة نود الإشارة إلى أن هذا الفعل النقدي كان يعتد بإجراءات نقدية يوسعها شرحاً الدكتور عبدالله الغذامي ، في كتابه المشار اليه سابقاً وكتبه اللاحقة ، ونظفر بنماذج منها لدى سعيد السريحي في كتابه السابق .

ولعل ذلك يدعو إلي اشهار تساؤل حول نصيب هذه العمليات الاجرائية من الإبداع ، ونجيب ابتداء بأن عملية الدخول الى النص وفق هذه الاجراءات ، هي عملية تحليل للنص ، تعيد تركيبه وفق نظر يمنح المكونات أبعادها ، بحيث تتسق مع بنائها الكلي ، على النحو الذي يوضحه الغذامي بقوله حين يشرح عملية تشريح النص « وهي عملية مزدوجة الحركة حيث نبدأ من الكل داخلين الى جزئياته لتفكيكها واحدة واحدة ، لنعيد تركيبها مرة أخرى كي نصل الى كل عضوي حي لها ، ولكن يختلف عن (الكل) الأولي من حيث أن للأخير فعالية نتجت عن القراءة الابتكارية للنص المشرح ، بينما الكل الاولي كان حتمية انشائية مفروضه على العمل ولو ظاهرياً . ومن هنا تأتي التشريحية كاتجاه

نقدي عظيم القيمة ، من حيث انها تعطي النص حياة جديدة مع كل قراءة تحدث له .. » (١٠) .

وحين نؤكد على هذه الإبداعية للنقد ، فإن مرد ذلك الى التأكيد على حرية الاختيار، وحين نؤكد ثانيا على اجراءاتها العلمية ، فإنا نؤكد على اخراجها من الفوضى والتهويم ، وبالتالي فان التحامها مع النص لابد أن يكون مع نص ذي قيمة فنية قابلة لأن تتجدد مكوناتها ، وتلتحم من جديد علي يد الناقد .

والمسألة الثانية في الإنجاز النقدي على المستوى المحلي تنبع من هذا الاعتداد بالفعل اللغوى حيث كان ذلك حافزاً للنقد للدخول في معترك أزمة تلقي الأشكال الأدبية الجديدة ، خاصة القصيدة ، اذ كان تثمين فنيات هذه القصيدة نابعاً من هذا النقد الذي يستبطن لغة النص ، فنجد مثلاً سعيد السريحي يفتتح كتابه « الكتابة خارج الاقواس » بمحاضرة كان ألقاها في نادي جدة الأدبي بعنوان « إشكالية الغموض في القصيدة الجديدة » نبه فيها إلى أن الوعي باللغة الشعرية يجعلنا نقف على أهم أسباب غموض القصيدة الجديدة ، يقول السريحي «ولعلنا بهذا الادراك لطبيعة الموقف من اللغة نضع أيدينا على أهم أسباب غموض القصيدة الجديدة ، ذلك أن هناك اختلافاً في النظرة إلى اللغة بيننا وبين الشاعر يبلغ حد التناقض، ونضيف الى ذلك أنه قد كان لإحياء المضمون الدلالي الحي للغة آثار أخرى ظهرت على مستوى العبارة حيث أصبح من خصائص القصيدة الجديدة ذلك التركيب غير العادي للعبارة من حيث التقديم والتأخير ..» ويضيف مؤكداً على تجدد لغة الشعر وكسرها للنمط النحوي قائلاً « وبهذا يصبح تحطيم العلاقات النحوية للسياق خطوة أولى نحو قيام علاقات دلالية يتكون من خلالها العالم الشعري الذي يسعى الشاعر الى تأسيسه » (١١) .

وراح بعض النقاد أيضاً يربطون بين فنيات الإبداع في تجدده ، وبين تغيرات الواقع الخارجي ، ففي أمسية شعرية قرأ الدكتور سعد البازعي أربع قصائد لعلي الدميني ، ومحمد الثبيتي ، قال في تقديمه لتلك القراءة « فهذه القصائد لا توصف بأنها » « عن الانبعاث » ؟ بل الاحرى أن يقال إنها هي الانبعاث ، هي الهم الذي تطرحه ، هي الحياة التي تبحث عنها . وهذا يحدث على مستويين :

الأول : أنها قصائد تحمل وعياً ذاتياً بكونها قصائد ، أي أنها منطلقة من شاعريتها ويتضح هذا من خلال « القصائد » المشار اليها داخل النصوص .

الثاني : أنها تطرح الشعر أو الكلمة المبدعة عموماً بوصفها روح الانبعاث وجذوته الفاعلة ، وهذا يعني أن وعي القصيدة بكونها قصيدة وبتداخل النصوص على المستوى الاول هو جزء من عملية الانبعاث التي تتطلع إليها أو ترسم معالمها » (١٢) .

وكذلك : كانت دراسات الدكتور محمد صالح الشنطي عن القصة والرواية في المملكة العربية السعودية تلح على ربط التحولات الابداعية بالتحولات الاجتماعية (١٣) ومع التثمين للتحولات الإبداعية ، كان في المنجز النقدي بحث عن الخصوصيات الفنية على نحو تظهر فيه فاعلية النقد حين يسلك الطريق إلى البحث عن تلك الخصوصيات منهجاً نقدياً يقوم على استقراء الخطاب الإبداعي العام ، وتفاعل النصوص داخله ، مع البحث عن الشفرة الخاصة ، على النحو الذي يقدمه الدكتور عبدالله الغذامي في الفصل الثاني من كتابه : تشريح النص ، الذي قدم فيه مقاربة تشريحية لنصوص من الشعر الجديد في المملكة .

ولقد أدت نظرة تجاوز العمل النقدي لما كان شائعاً من ملاحظات وشرح وتقرير إلى الدخول في البحث عن فلسفة تلك التحولات الإبداعية ، فما يبدو في النصوص من تداخل بين أنماط إبداعية احتفل به النقد، وقدم له التفسير الفني ، والتفسير الفلسفي ، وللتمثيل على ذلك أعيد إلى الأذهان ما كتبه سعيد السريحي عن القصة القصيرة ، وما فسر به هذا المنجز النقدي تداخل الأشكال الشعرية في النص الشعري الواحد ، كما هو في إنجاز البازعي ، والسريحي .

وأما بشأن المسألة الثالثة ، فقد أدى التسامي بعملية النقد عن الارتهان إلى المعيار، وتجاوز الشرح والتعليق ، إلى مراجعة نقدية فاعلة للمناهج النقدية قديما وحديثاً ، على نحو سبقت الإشارة إليه ، وأفضى الى ممارسة الناقد لهذا الأمر قبل دخوله في مواجهة النصوص ، على النحو الذي نجده لدى الغذامي والشنطي ، كما أدى ذلك إلى تبلور اختلاف في الاتجاه النقدي يلحظه المتابع .

وظهور هذا الأمر لا يعني ان انشغال النقد بالتنظير ، يعني إهمالاً للنصوص، وذلك لأن الوعي بالنظرية النقدية يرتد إلى

سبر أغوار النص واستنطاق مجاهله باجراءات جديدة ، يتجدد بها النص ، ويبقى عطاؤه حياً مستمراً .

وإذا كان لي في ختام هذه الورقة أن أطرح تصورات عامة ، فحسبي أنها مادة للحوار والنقاش ، وحسبي أنها تقوم في مواجهة تهمة المواكبة النقدية وسأجمل هذه التصورات فيما يلي :

أن النقد لا يرتهن لكل نص بل هو عملية اختيار ، ومن هنا لا ينهض غياب كثير من النصوص عن التناول النقدي دليلاً على الغياب النقدي .

ـ أن المبدع لا ينتظر من الناقد توجيها وتعليما ، ففعله الابداعي ، هو تجديد مستمر لذلك الوعي النقدي الذي يصدر عنه الناقد .

ـ أن الفعل النقدي بإبداعه ووعيه الفلسفي يتسامى عن أن يكون قائماً بدور المصادرة وملاحظة المتزلفين للإبداع .

ـ لا يعني صمت النقد عن بعض النصوص خلوها من إبداع فاعل ، بل ربما دل ذلك على أن هذه النصوص في حاجة إلى وعي نقدي لم يتبلور بعد .

ـ أن الحوار النقدي حول العملية النقدية يكسبها تقنيات جديدة يرتد أثرها إلى الفعل الإبداعي .

ـ كل ذلك لا يعني أن النقد صحيحاً معافى ، فهو يعاني من أدواء ، تجعل الناقد أحياناً كثيرة يلوذ بالصمت .

الثعبان « قصة قصيرة »

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

في داخلي خوف رهيب . كان حلمي البارحة غريب أتخيل فيه أنني أمسكت بثعبان وحبسته في قارورة بها ماء محكمة الاقفال ، وقبل أن أنتبه من نومي على صوت المؤذن وهو يقيم لصلاة الفجر كنت أدحرج الزجاجة حتى اختفت .

تعوذت من الشيطان .. وقمت من فراشي . تأملت زوجتي المندسة بقربي وأخذت أضحك ..

الصباح جميل وغيوم خفيفة تحجب ضوء شمس الصباح الباردة . تلفت في الشارع الترابي وقد خلا من المارة . كانت أكياس الزبالة تنتظرني خلف الباب الخارجي، حملتها لبرميل النفايات . بوادر الشتاء تلذع جسدي ببرودتها . نحن في نهاية شهر نوفمبر .

الساعة السادسة صباحاً .

عدت للفراش أندس بهدوء تحت الغطاء . زوجتي التي تصلي في ركن الغرفة تتأملني ببرود . غادرت الغرفة الى حيث ينام أسامة وبسمة .

صوتها يصلني وهي تدعوهم الى القيام والاستعداد للمدرسة . أشياء معتادة .

تذكرت الثعبان المحبوس داخل الزجاجه تبلد ذهني لا أدري كيف أستطيع ادخاله في الزجاجة وحبسه أخذ القلق يساورني هل كان حياً أم ميتاً ؟ .

اقتحم أسامة مظلتي . اندس معي تحت الغطاء شعرت ببرودته ما ان احتضنته حتى نام ..

بسمة تبحث في المنزل عن حقيبتها وفردة الحذاء . كان أسامة الأول في كل شيء .. في اعداد حقيبته وارتداء الملابس . أخذت أتلمس تقاطيع وجهه أتفحص ابتسامته

وهو يصر كل صباح على النوم بقربي قبل وصول حافلة المدرسة .

برود غريب أشعر به ..

صوت منبه الحافلة ، يتململ في الفراش ، يمسك بطرف الغطاء ، أدفعه الى النهوض ، يشرع في ممارسة الاهمال .

أقفز من الفراش أصرخ فيه أسبقه الى الباب الخارجي أتأمل سائق الحافلة والأطفال ..

يطل أسامة مترددا يلمح أفضل أصدقائه يجلس في المقعد الأمامي ، يرتقي سلم الحافلة يغلق الباب .. تختفي في الطريق .

بسمة تنتظر ارتدائى لملابسي حتى أوصلها لمدرستها القريبة من المنزل حيث تعود في الظهيرة مع زميلاتها .

صمتها الدائم يحيرني ورفض أمها زيارة المدرسة للسؤال عن مستواها الدراسي يثير القلق في داخلي .

وكما هي العادة طبعت قبلة على خدي قبل أن تترجل من السيارة . اتخذت مساري المعتاد للمكتب .

الساعة السابعة والدقيقة الأربعين ..

أقف أمام أول اشارة ضوئية . أمامي بعد الاشارة كوم من السيارات وآثار مياه ورجال شرطة ، اشتغل الضوء الأخضر في الاشارة .

تحركنا بهدوء حاذيت مكان التجمهر كانت حافلة محترقة ولمحت أطفالاً يقفون بقرب سيارات النجدة والاسعاف . توقفت .

ترجلت من العربة . ركضت نحو الأطفال أخذت أتفحصهم انني أعرفهم اتجهت الى الحافلة المحترقة .

زاد وجيف قلبي ...

أمسكت بأحد رجال الشرطة ..

ـ ماذا حدث ؟ .

ـ حافلة مدرسية احترقت .

ـ بها أحد ؟ .

ـ الجميع بخير وثلاثة أطفال تم نقلهم للمستشفى . أصابني تبلد رهيب . عدت لتفحص أعين الجزعين .

لمحت مدير المدرسة . أسرع إلى وبادرني صارخا :

ـ أين أسامة

ـ ذهب للمدرسة .

ـ في الحافلة ؟ .

ـ أجل .

احتضنني ، شعرت بارتجاف ، لم أستوعب الموقف ، عدت الى عربتي ، اتجهت الى المستشفى ، أسرعت الى قسم الطوارىء ، كان أسامة متمددا فوق طاولة منزوية .

أخذت أتأمله بهدوء ، تذكرت الثعبان ، وتذكرت في هذه اللحظة كيف اصطدته وطريقة حبسه في الزجاجة . لم أتأكد من موته .

ولكن أسامة كان متصلب الجسم بارد الأطراف وبسمته الصغيرة ذات الندبة على وجهه .

من عيون الشعر

سلوتم وبقينا عشاقا

ابن زيدون

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا ... والافق طلق ومرأى الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله ... كأنه رق لي فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم ... كما شققت عن اللبات أطواقا

يوم كأيام لذات لنا انصرمت ... بتنا لها حين نام الدهر سراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر ... جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينه اذ عاينت أرقي ... بكت لما بي فحال الدمع رقراقا

ورد تألق في ضاحي منابته ... فازداد منه الضحى في العين اشراقا

سرى ينافحه نيلوفر عبق ... وسنان نبه منه الصبح أحداقا

كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا ... اليك لم يعد عنها الصدر أن ضاقا

لا سكن الله قلبا عق ذكركم ... فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى ... وافاكم بفتى أضناه ما لاقى

لو كان وفّى المنى في جمعنا بكم ... لكان من أكرم الأيام أخلاقا

ياعلقي الأخطر الأسنى الحبيب الى ... نفسي اذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا

كان التجاري بمحض الود من زمن ... ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا

فالآن أحمد ماكنا لعهدكم ... سلوتم وبقينا نحن عشاقا

من الكتب الواردة حديثا لدار الجوف للعلوم

اعداد : قسم التزويد بالدار

حرصت الجوبه منذ العدد الأول على أن تعطي القراء الأعزاء لمحات مختصرة عن بعض ما وردها من كتب حيثة أضيفت الى رصيد الدار الذي وصل حتى تاريخ اعداد هذه العدد أكثر من ٦٥ر٠٠٠ مجلد موزعة لكل من قسمي الرجال والنساء ، الى جانب أوعية المعلومات الأخرى المتوفرة كالدوريات والمصغرات والوسائل السمعية والبصرية والألكترونيات المختلفة .

الملك عبدالعزيز والتعليم / تأليف عبدالله سعيد أبو راس ، بدر الدين ديب ـ ط ٢ ـ جدة ، دار عكاظ للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ ، ٤٥٨ ص .

يعتبر هذا الكتاب من المراجع التي توصف بالعمق والشمولية والدقة ، حيث أنه كما ذكر المؤلفان في مقدمة هذه الطبعة يتضمن معلومات جديدة واحصائيات حديثة تفوق الكتب الأخرى السابقة في هذا المجال ، كما تضمنت أيضاً مناطق كالليث والباحة .. وينقسم الكتاب الى خمسة فصول هي :

الفصل الأول ـ وهو مخصص للملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وتحصيل العلم ، ومدارس القرآن ومدرسة الصحراء وآل الشيخ ومدرسة المستشارين ، كذلك العناية بالتعليم المستمر في عهده .

الفصل الثاني ـ ويتحدث فيه المؤلفان عن التعليم قبل الملك عبدالعزيز بين التراث والواقع، وكذلك نجد والتراث التعليمي للأسرة السعودية . مع استعراض شامل للأحوال التعليمية في الجزيرة العربية قبل الملك عبدالعزيز .

الفصل الثالث ـ ويتناول تجارب الملك عبدالعزيز في التجديد التربوي كمشروع هجر ونظام التدريس في المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي وغيرهم من دور التعليم والمدارس المختلفة .

الفصل الرابع ـ وهو عن نظم مؤسسات النظام التعليمي في عهد الملك عبدالعزيز وانشاء مديرية المعارف ومجلس المعارف، وكذلك النظم المدرسية المختلفة التي ظهرت في عهد الملك عبدالعزيز ، ويستعرض بعد ذلك نظام التعليم العام .

الفصل الخامس ـ عن مسيرة التعليم على طريق الملك عبدالعزيز ويتعرض المؤلفان لأول وزارة وأول وزير للتعليم ، وهذا الفصل مدعم بالاحصائيات الرسمية ، مع استعراض لهياكل النظام التعليمي بمختلف مراحله ، وينتهي بملحق عن التعليم الثانوي المطور .

هوامش أدبية / عمران بن محمد العمران ـ الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م ، ١٨١ص .

وهذا الكتاب كما يقول مؤلفه في مقدمته انها هوامش أدبية كتبت في ظروف وفترات شتى ، وهي تمثل مرحلة من مراحل تطور صاحبها ومن حياة قلمه .

وهي مقالات قصيرة منتهية تحمل عناوين موجزة مثل : أدب الجزيرة ـ هل هو شذوذ الشعراء ؟ نعم أنتم الشعراء ـ أنات الساقية ـ شاعر الوطنية ـ الشعر المنثور ـ فترات الذهن ـ ابن مقرب والقرامطة ـ توارد الخواطر في الشعر الشعبي ـ ابن خلدون والعرب ـ نريده أدباً ناضجاً متكاملاً .. الخ .

السلوك الانساني والتنظيمي : منظور كلي مقارن / ناصر محمد العديلي ـ الرياض : معهد الادارة العامة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م ، ٥٩٣ ص .

يهدف هذا الكتاب في المقام الأول الى تقديم مادة علمية نظرية وتطبيقية لمادة السلوك الانساني والتنظيمي ، كما يذكر مؤلفه في المقدمه . فهو مفيد لدارس الادارة العامة وادارة الأعمال في معهد الادارة العامة والمعاهد والكليات المشابهة .

ويذكر أيضا المؤلف بأن الكتاب يهدف الى تقديم مادة علمية للقادة ورجال الأعمال والمديرين والمشرفين سواء في الحكومة أو القطاع الأهلي ، وكذلك في المؤسسات العسكرية . وقد تناول الكتاب الموضوع من خلال سبعة أقسام نلخصها فيما يلي :

القسم الأول ـ مجال السلوك الانساني والتنظيمي ، ومدارس الادارة وتطور الفكر الاداري والسلوكي ، مع تحليل تاريخي واستعراض أهم المدارس .

القسم الثاني ـ أهم فعاليات الأفراد مثل السلوك الانساني والشخصية والادراك والدوافع والحوافز ، الرضا الوظيفي .. الخ

القسم الثالث ـ وهو عن فعاليات سلوك الجماعات داخل منظمات العمل ـ النزاع في منظمات العمل ـ مع التركيز على ديناميكيات جماعات العمل وتأثيرها في الأداء .

القسم الرابع ـ عن فعاليات سلوك القياده والتأثير ـ القيادة الادارية ـ وتطور نظريات القيادة ... الخ .

القسم الخامس ـ مخصص للحديث عن فعاليات سلوك المنظمة (الاهداف ـ البناء ـ العمليات) مع تصميم الهيكل التنظيمي للمنظمة ـ واستعراض لنماذج لها من المملكة العربية السعودية .

القسم السادس ـ فعاليات أعمال المنظمة مثل الاتصالات ـ اتخاذ القرارات ـ القياس وتقويم الأداء .. الخ .

القسم السابع ـ وهو في فعاليات تطوير المنظمات ، وقد ركز على عملية التطوير والتغيير التنظيمي بصفتها من أهم أساليب التجديد والابداع .

الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين / يوسف علي ابراهيم العريني ـ الرياض ، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م ، ٤٧٠ ص .

وهذا الكتاب هو رقم ٧ في سلسلة الأعمال المحكمة التي تقوم المكتبة بنشرها ، وهو استعراض للحياة العلمية في بلاد الأندلس في عصر الموحدين ، حيث أنها كانت مليئة بالانجازات والاشراقات التي هي فخر لكل مسلم وشاهد على ماقدمه آباؤنا وأجدادنا من مؤثرات هزت كيان العالم من مشرقه الى مغربه ، ولا زالت آثارها باقية ومستمرة الى أن تقوم الساعة باذن الله العلي القدير . والكتاب يقع في خمسة فصول نوجزها فيما يلي :ـ

الفصل الاول ـ عن العوامل المؤثرة في الحياة العلمية .

الفصل الثاني ـ ويستعرض دور العلم وأثرها في الحياة العلمية كالمكتب والمدرسة والمسجد والمكتبات ... الخ .

الفصل الثالث ـ ويضم طرق التعليم وأساليب التقويم كاختيار الطالب لأستاذه وأساليب التقويم المختلفة وأساليب كتابة الاجازات .

الفصل الرابع ـ ويشتمل على ميادين الحياة العلمية وأبرز أعلامها في العلوم المختلفة كاللغة والشعر والفقه والحديث والعلوم الاجتماعية والعلوم التجريبية .

الفصل الخامس - عن دور العلماء في الحياة العامة الأندلسية واسهاماتهم في الأعمال الرسمية والتطوعية المختلفة .

ادارة المدن الكبرى ، تجربة مدينة الرياض / عبدالله العلي النعيم ـ الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م، ٤٢٠ ص .

يعرض هذه الكتاب لتجربة مدينة الرياض كعاصمة للمملكة ومركز للحكم والادارة والأنشطة المتعددة من ثقافية وتعليمية وتجارب صناعية ، وهي بحق مثال وقدوة للمدن الكبرى من حيث موقعها وتاريخها وتطورها السريع الذي أوصلها الى مصاف العواصم العالمية المتميزة . والكتاب ينقسم الى أبواب أربعة نوجزها فيما يلي :

الباب الأول - ويتحدث المؤلف فيه بشكل عام عن المدن الكبرى ومشكلاتها المختلفة كالنمو السكاني والاسكان والقضايا الاقتصادية والبيئية والتخطيط ، وكيفية التغلب عليها .

الباب الثاني - ويستعرض مشكلات الادارة في المدن الكبرى مثل الحكم المحلي وتطبيق اللامركزية وحركية الادارة ومشاركات المواطنين .... الخ .

الباب الثالث - مخصص لمدينة الرياض من حيث التاريخ والنشأة والتطور ، ومظاهر النشاط الحضري والعمراني ، ثم يورد المؤلف في نهاية الفصل بعض التجارب الرائدة .

الباب الرابع - ويتحدث المؤلف في هذا الفصل عن حركية الادارة في مدينة كبرى كالرياض من حيث الخطط التنموية ، البلديات الهيكل التنظيمي لأمانة مدينة الرياض ، ادارة الشؤون المالية والتنسيق واستخدام مركز المعلومات في خدمة المدينة والمواطن .

ويتميز الكتاب بالعديد من الجداول التفصيلية والأشكال التوضيحية .

جراحة الفم الصغرى / تأليف جيفري هاو ، ترجمة زهير محمد صافي حيدر ـ الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ، ٦٥٥ص .

هذا الكتاب هو ترجمة لأحد الكتب الهامة في مجال جراحة الأسنان ، ولذلك يعتبر اضافة جيدة للمكتبة العربية ، لأنها تفتقر الى مثل هذه النوعية من الكتب باللغة العربية . وقد ساهمت جامعة الملك سعود في اخراجه الي النور كعمل جيد يستطيع القارىء العربي المتخصص والمثقف أن يخرج من خلال الاطلاع عليه بالثقافة الصحيحة

اللازمه له ولتأمين الصلة المباشرة والوثيقة بين المريض والطبيب .

ويحتوي الكتاب الذي أعيدت طباعته باللغة الانجليزية ٦ مرات في خلال ١٤ عاماً على ١٦ فصلاً تشتمل النقاط الأساسية الآتية :

التشخيص في جراحة الفم ـ الحالة العامة للمريض ـ أسس جراحة الفم - عمليات توضيحية ـ قلع الأسنان والجيب الفكي- الروائح الكريهة ومعالجتها ـ الأطقم الصناعية ـ الفم وعلاقته بالأمراض الأخرى ـ أمراض اللثة وأنواعها ومعالجتها .

ويشتمل الكتاب على ملاحق تبين الأدوات الجراحية اللازمة للفم واللثة ، وفي آخره ثبت بالمصطلحات عربي / انجليزي والعكس ، وكشاف بالموضوعات .